

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رواية

رُودُ بِرَائِحَةِ الدَّمِّ

للكاتب الأسير: عبد الله غالب البرغوثي

الإهداء

أهدي روايتي هذه إلى المناضلات.. الأسيرات، اللواتي
بنين جسور النضال بين المعتقل والأرض، المنتظرات فجر
الحرية والتحرر القريب _بإذن الله_ ... إلى أخوات المرحلة
الفلسطينيات القساميات الثائرات، اللواتي أخذن مكانهنّ إلى
جانب آبائهنّ وأخوتهنّ وأبنائهنّ وأزواجهنّ فأكملن الطريق،
وحملن السلاح والقلم والعلم للدفاع عن الحقّ.

المهندس الأسير عبد الله البرغوثي

أبو أسامة القسام

أمير الظل

المُقَدِّمَةُ

ورودٌ برائحة الدّم؛ سطر جديد من سطور التحدي والقوة، رواية أخرى يخطّها قلمي، متحدياً بها السجن والسجان، وراسماً فيها الخطوط العريضة لفجر قريب عنوانه الصمود والحرية، لتكتمل فيها عناصر اللوحة التي رسمتها، والتي ضمتّ الماجدة الأمّ والزوجة، وفلسطين العاشقة المعشوقة، وملاك الرحمة الابنة الثائرة، واليوم تنضمّ ورود لأخواتها لتكون سطرًا جديدًا في سفر البطولة والتحدي والفداء.

اعلموا يا كرام، أنّي لم أكن يوماً روائياً أو قاصّاً، بل أنا مقاوم.. مقاتل، صاحب رسالة نضال وجهاد أقدمها لكم من خلال ما خطّ قلمي، بعد أن عزّ عليّ النضال بجسدي بسبب اعتقالي، فالكتابة نوع من الجهاد أحتسبه لوجه الله _تعالى_، وأسأله أن يتقبّله خالصاً لوجهه الكريم.

رواية.. (ورود برائحة الدم) إضاعة على أسر الأسرى
ومعاناتهم في ظلّ احتلال ظالم، وتنسيق أمّنيّ غاشم، وليل
طويل، عانى منه الأسرى وأسرهم، وبين ورود الابنة التي
ضلّت الطريق، ثمّ وجدته في الأسر، وورود المناضلة التي
أكملت الطريق... فرق كبير... فمن رحم المعاناة تولد
البطولات، لذلك نرى النساء في فلسطين نوات دور بارز في
المقاومة، فهنّ يثخنّ في أعداء الله المحتلّين قتلاً ودهساً
وطعناً وضرباً وجرحاً... لهنّ حلم عظيم، حلم ما كان له أن
يتحقّق إلا أن تبذل دونه النفوس والأرواح... فهنّ
المرابطات، والمناضلات، الاستشهاديات، والأسيرات،
والمريبات المحرّضات على الجهاد... إنهنّ الصورة الحقيقية
للمرأة الفلسطينية.

الكاتب:

عبد الله غالب البرغوثي _ أبو أسامة

أمير الظلّ

الفصل الأول

أنا لا هو

بداية الحكاية

كُلُّ مَيْسَرٍ لِمَا خُلِقَ لِأَجْلِهِ، وَأَنَا أَجْرِمُ بِأَنْبِي لَمْ أُخْلَقْ لِكَيْ
أَمْرَعُ قَدَمِي بِوَحْلِ فَلَسْطِينٍ وَطِينِهَا، بَلْ لَمْ أُخْلَقْ لِأَجْلِ أَنْ
أَمُوتَ بِأَرْضِ الْحُرُوبِ وَالذَّمَارِ وَالتَّارِ الَّتِي أَدَمَنْتُ شُرْبَ دِمَائِ
أَبْنَائِهَا جِهَارًا نَهَارًا دُونَ أَنْ تَشْعُرَ بِتَأْنِيْبِ الضَّمِيرِ، وَدُونَ أَنْ
يُرَى مِنْهَا مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا ارْتَبَتْ؛ تِلْكَ الْأَرْضُ الْفِلَسْطِينِيَّةُ -
المُبَارَكَةُ - الَّتِي تُوَصِّلُ دِيْدَانِهَا التِّهَامَ أَجْسَادِنَا سَوَاءً كُنَّا أَحْيَاءَ
أَمْ أَمْوَاتًا، بِنَهْمٍ مُنْذُ أَنْ حَلَّ عَلَيْهَا كَابُوسُ الْإِحْتِلَالِ الصَّهْيُونِيِّ،
فَمَتَى تَتَسَبَّعُ هَذِهِ الْأَرْضُ وَمَتَى تَفْتَعُ؟. . لا وَالْفِ لَا . . . لَنْ
أَمْكُتَ بِأَرْضِ الْأَمْوَاتِ وَالْآلَامِ هَذِهِ، وَلَنْ أَدْفَعَ التَّمَنَّ لِكُونِي
فِلَسْطِينِيَّةً أَبَدًا أَبَدًا، وَلَنْ أَكْبُرَ لِأَعْدَوْ شَوْكَةَ
مُقَاتِلَةٍ تَفْقَأُ أَعْيُنَ الْمُحْتَلِّ وَجُنُودَهُ وَأَعْيُنَ خُدَامِهِ وَعَبِيدِهِ.

لَمْ أُخْلَقْ لِقِتَالِ هَذَا وَلَا ذَاكَ وَلَا هُوَلاءِ، بَلْ خُلِقْتُ لِكَيْ أَحْيَا
 كَمَا الْفَرَاشَاتِ وَالْوُرُودِ حَيَاةً حُلُوَّةً وَرَدِيَّةً هَادِنَةً وَهَانِيَةً بِلَا هُمْ وَلَا
 غَمٍّ وَلَا حُزْنَ وَلَا دَمَ ، لَا كَمَا تُبْعَثُ الْعَنْقَاءُ
 مِنْ جَوْفِ رَمَادِ الْأُسْطُورَةِ، فَأَنَا الْحَقِيقَةُ وَالْوَاقِعُ الْحَيُّ،
 بَلْ أُسْطُورَةُ الْخِيَالِ الْوَاهِمِ الْحَالِمِ الْمَيِّتِ وَالْمُمَيَّتِ.
 كَيْفَ لَا؟ وَأَنَا . . . نَعَمْ، أَنَا، أَنَا لَا هُوَ، أَنَا الْحَيَّةُ الْحُرَّةُ، وَهُوَ
 الْمَدْفُونُ حَيًّا، وَالْمَكْبَلُ بِأَغْلَالِ الْقَيْدِ وَالسَّلَاسِلِ، أَنَا الْحُرَّةُ النَّيِّ
 تَمَشِي وَتَطِيرُ فَوْقَ التُّرَابِ، وَهُوَ الْأَسِيرُ الْمَدْفُونُ فِي جَوْفِ
 الْأَرْضِ وَتَحْتَ تُرَابِهَا . . . أَنَا أَنَا لَا هُوَ؛ لِأَنِّي الْمُسْتَقْبَلُ
 الْحُلُوِّ الْمَشْرِقِ، لَا هُوَ التَّارِيخُ وَالْمَاضِي الْمُرُّ وَالْمُظْلِمُ . . .
 الْمَاضِي الَّذِي مَضَى وَلَيْتَهُ لَا يَعُودُ أَبَدًا، أَنَا وَرُودُ الْوَرْدَةِ
 وَالْإِبْنَةُ وَهُوَ الشُّوْكَةُ الدَّامِيَّةُ، وَالْأَبُّ الَّذِي وَقَعَ أُسِيرًا وَيَا لَيْتَهُ
 وَقَعَ شَهِيدًا وَمَاتَ، لَكَانَ أَرَاخَ وَاسْتَرَاخَ، اسْتَرَاخَ مِنْ عَذَابِ الْقَيْدِ
 وَالْأَغْلَالِ وَالْمِ السَّجْنِ وَالسَّجَانِ، وَأَرَاخَ غَيْرُهُ مِنْ عَذَابِ هَمٍّ وَعَمٍّ
 الْإِنْتِظَارِ.

هُوَ أَبِي الَّذِي لَمْ يَشْهَدْ لَحْظَةً وِلَادَتِي؛ لِأَنَّهُ كَانَ مَشْغُولًا
عَنِّي بِمَا هُوَ عِنْدَهُ أَهَمُّ؛ كَانَ مَشْغُولًا بِإِشْهَادِ مَنْ يَلْزُمُ إِشْهَادَهُمْ
حَسَبَ قَنَاعَاتِهِ بِأَنَّ الشَّعْبَ الْفِلَسْطِينِيَّ لَا يَزَالُ حَيًّا صَامِدًا
وَيُقَاوِمُ.

أَنَا لَمْ أَشْهَدْ عَمَلَ وَالِدِي وَفِعْلَهُ الْمَقَاوِمَ، إِلَّا أَنَّنِي مَلَأْتُ
وَكْرِهْتُ حَدِيثَ وَالِدَتِي وَجِدَّتِي عَنْهُ وَعَنْ بُطُولَاتِهِ، تَمَامًا كَمَا
مَلَأْتُ وَكْرِهْتُ رُؤْيَةَ صُورِهِ الَّتِي تَمَلَأُ جُدْرَانَ مَنْزِلِنَا الْمُتَدَاعِي
وَالْمُنْهَالِكِ؛ بِسَبَبِ ذَلِكَ الْوَالِدِ الَّذِي رَفَضَ حَيَاةَ الرَّغْدِ، عِنْدَمَا
رَفَضَ السَّيْرَ عَلَى دَرْبِ وَالِدِهِ التَّاجِرِ الثَّرِيِّ الَّذِي كَانَ مِنْ
أَعْلَامِ تُجَارِ الذَّهَبِ وَالْمُجَوَّهَرَاتِ فِي فِلَسْطِينَ.
فَكَيْفَ لَهُمْ أَنْ يَجْبِرُونِي عَلَى السَّيْرِ فِي دَرْبِهِ؛ دَرْبِ
الْأَشْوَاكِ وَالْفَقْرِ وَالْعُوزِ، دَرْبِ النَّارِ وَالذَّمَارِ وَالْآلَامِ الَّتِي سَارَ
عَلَيْهَا وَالِدِي الْمُتَمَرِّدِ، عِنْدَمَا اخْتَارَ دَرْبَ الْمَقَاوِمَةِ وَالنَّصَدِيِّ
لِغَزَاةِ فِلَسْطِينَ الصَّهَابِيَّةِ وَبُعَاثِهِمُ الْأَوْسُلُوبِيِّينَ، مِنْ أَجْلِ دَحْرِهِمْ

عَنْ أَرْضِهِ الْمُبَارَكَةِ، الَّتِي عَدَّتَ الْيَوْمَ فَلَسًا يُنْهَبُ وَقِيمًا تُبَاعُ
بِأَبْحَسِ الْأَثْمَانِ.

وَالِدَتِي أُمٌّ طَيِّبَةٌ وَرَوْجَةٌ مُحِبَّةٌ وَحَنُونٌ، إِلَّا أَنَّهَا حَالِمَةٌ
مَجْنُونَةٌ، حَالَهَا كَحَالِ جَدَّتِي الَّتِي تُشَاظِرُهَا الْحُلْمُ وَالْجُنُونُ
وَالْحُبُّ لِابْنِ هَذِهِ الْجَدَّةِ وَرَوْجُ نِكَاحِ الْأُمِّ الَّذِي اعْتَقَلَهُ الصَّهَابِيُّ
وَدَفَنُوهُ حَيًّا فِي إِحْدَى أَقْبِيَةِ سُجُونِهِمْ بَعْدَ أَنْ وَشَتْ بِهِ أَعْيُنُ
أَوْسُلُو الْغَادِرَةِ؛ حَدَّثَ ذَلِكَ بَعْدَ وِلَادَتِي بَعْدَةَ أَيَّامٍ، بَكَتُ حِينَهَا
مُغْلَنَةً قُدُومِي لِهَذِهِ الدُّنْيَا، لَمْ يَسْمَعْ صَوْتِي أَحَدٌ وَلَمْ يَلْتَقِ
نَحْوِي أَحَدٌ، فَوَالصَّلْتُ الْبُكَاءَ بِلَا انْقِطَاعٍ، لَكِنَّ صَوْتِ بُكَائِهِمْ
عَلَى فِرَاقِ وَالِدِي لَهُمْ كَانَ أَعْلَى وَأَقْوَى، ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ بِبَسَاطَةٍ
شَدِيدَةٍ يُحِبُّونَهُ أَكْثَرَ مِنِّي، فَكَرِهْتُهُ كُرَهَ الْقَلْبِ وَالْعَقْلِ وَالْعَيْنَيْنِ
الدَّامِعَتَيْنِ.

نَعَمْ، أَكْرَهُهُ لِأَنَّهُ اخْتَارَ الْبُعْدَ عَنِّي عِنْدَمَا قَرَّرَ وَبِمَحْضِ
إِرَادَتِهِ أَنْ يَكُونَ شَوْكَةً مُقَاتِلَةً فِي مَيْدَانِ الْمُقَاوَمَةِ،
لَا شَوْكَةً تَحْمِي وَتَرْعَى ابْنَتَهُ (وُرُودَ) وَرَوْجَتِهِ وَوَالِدَتَهُ وَتَرْوَةَ

والِدِهِ الَّتِي نَفَدْتُ بَعْدَمَا نَهَبَهَا الطَّامِعُونَ وَالْفَاسِدُونَ.

مَضَتْ بِي الْأَيَّامُ فَكَبُرْتُ سَرِيعًا، مَضَتْ وَأَنَا بِلَا أَبٍ يَفْرَحُ
لَفَرْحِي وَيَحْزَنُ لِحُزْنِي؛ لِذَلِكَ لَا أَرَى سَبَبًا لوجوده الْيَوْمَ إِلَى
جَانِبِي وَأَنَا أَنْتَظِرُ عَلَى أَحْرَّ مِنَ الْجَمْرِ ظُهُورَ
نَتَائِجِ امْتِحَانَاتِ الثَّانَوِيَّةِ الْعَامَّةِ، تِلْكَ الْإِمْتِحَانَاتُ
الَّتِي سَهَرْتُ مِنْ أَجْلِ التَّفَوُّقِ وَالنَّمِيْزِ فِيهَا لِيَالِي طَوِيلَةً،
لِيَالٍ كَادَتْ تَفْقِدُنِي صَوَابِي الَّذِي لَمْ أَفِدْهُ بَعْدَ، وَلَمْ أَفْقَدْ
بَوْصَلَتِي الَّتِي كَانَتْ تُشِيرُ عَلَى الدَّوَامِ إِلَى الْوَجْهَةِ الصَّوَابِ،
نَحْوَ تَحْقِيقِ هَدْفِي الْمُنْشُودِ وَالْمُتَمَثِّلِ: بِوُجُوبِ دُخُولِي إِلَى
إِحْدَى الْجَامِعَاتِ الْفِلَسْطِينِيَّةِ الْبَائِسَةِ، ثُمَّ التَّفَوُّقِ فِيهَا أَوَّلًا، وَذَلِكَ
مِنْ أَجْلِ الْإِنْتِقَالِ لِلْمَرْحَلَةِ الثَّانِيَّةِ وَالْأَخِيرَةِ الَّتِي سَتُوصِلُنِي إِلَى
مُبْتَغَايَ وَهَدْفِي الْمُتَمَثِّلِ بِمُغَادَرَتِي وَالِي الْأَبْدِ أَرْضَ الْوَحْلِ
فِلَسْطِينَ، مُودَّعَةً بِلَا عَوْدَةٍ وَلَا أَسْفِ طِينِهَا الْمَبَاعِ وَالْمُسْتَبَاحِ،
وَفِلْسُهَا الْمَنْهُوبِ وَالْمَهْدُورِ، ذَلِكَ عَبْرَ حُصُولِي عَلَى إِحْدَى

الْمِنَحِ الدَّرَاسِيَّةِ الْمُخَصَّصَةِ لِلدَّرَاسَاتِ الْعُلْيَا خَارِجَ أَرْضِ
الطَّيْنِ، حَيْثُ سَأْمُضِي بَعِيدًا جِدًّا نَحْوَ بَسَاتِينِ الْوُرُودِ
وَالْفَرَّاشَاتِ فَهُنَاكَ الْحَيَاةُ وَهُنَاكَ هُنَاكَ أَنْتَمِي، وَسَأَبْدَأُ حَيَاتِي بِلَا
مَآسٍ وَبِلَا أَحْزَانٍ وَلَا دِمَاءٍ وَلَا بَارُودٍ وَلَا نَارٍ.

وَمَا إِنْ ظَهَرَتْ نَتَائِجُ التَّائُوِيَّةِ الْعَامَّةِ، حَتَّى تَوَافِدَ إِلَى مَنْزِلِنَا
الْهَرَمِ الْمُهَنْتِيَّيْنَ مِنْ أَجْلِ الْإِحْتِفَالِ، بِأَبْنَةِ بَطْلِهِمُ الْمَرْعُومِ فَلَقَدْ
نَجَحَتْ وَتَفَوَّقَتْ، وَذَلِكَ حَدَثَ بِبَرَكَاتِ الْبَطْلِ الْمَدْفُونِ حَيًّا.

أَمَّا أَنَا الَّتِي دَفَنْتُ نَفْسِي حَيَّةً بَيْنَ الْكُتُبِ لِأَشْهُرٍ وَأَعْوَامٍ
طَوِيلَةٍ فَلَمْ يَكْتَرِثْ لِي أَحَدٌ، فَسُحِقًا لِهَوْلَاءِ الْأَعْيَاءِ الْبُلْهَاءِ،
وَسُحِقًا لِلْفَادَةِ الْعِظَامِ الَّذِينَ انْتَصَلُوا هَاتِفِيًّا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ لِيُهَنِّؤُوا
جَدَّتِي وَوَالِدَتِي، وَسُحِقًا لِنْتُكَ الْوَضِيعَةِ الَّتِي طَلَبْتَ يَدِي لِأَجْلِ
أَنْ أُرْفَ لِابْنِهَا الَّذِي يَرْعَبُ بِالْإِزْتِبَاطِ بِأَبْنَةِ الْبَطْلِ.

لَمْ تَسْتَجِبْ جَدَّتِي وَلَا وَالِدَتِي لِطَلْبِهَا؛ وَذَلِكَ بِالطَّبْعِ لَيْسَ
لِأَنَّهُمْ سَأَلُونِي عَنْ رَأْيِي لَا طَبْعًا؛ وَإِنَّمَا امْتِنَالًا لِأَوَامِرِ الْبَطْلِ
الَّتِي أُصَدَّرَهَا مِنْ دَاخِلِ الْقَبْرِ الَّذِي دُفِنَ فِيهِ حَيًّا، وَالَّتِي تَنْصُ

على وجوب دُخولي الجامعة ومواصلة تعليمي، لذلك لم يكن
أمامهم سوى تنفيذ أمره الذي لا يعصى ولا يناقش أبدًا.

وتم إلحاقِي بإحدى الجامعات حيثُ ترك لي اختيار
التَّخصُّصِ العِلْمِيِّ الذي أرغبُ بِدِرَاسَتِهِ، وبِأَنَّ لَهُ مِنْ كَرَمِ مَا
بَعْدَهُ كَرَمٌ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ البَطْلِ!.

انطلقتُ إلى الجامعة حاملةً في جعبتي شهادتي عالية
الدرجات، عازمةً النية على الإلتحاقِ بِكُلِّيَّةِ الفنونِ الجميلةِ،
راضيةً بِشاعةِ الواقعِ الفِلسطِينِيِّ المُشوِّهِ وهروبًا مِنْهُ، إلا أنَّ
ذلكَ لم يحدث؛ حيثُ وَجَدْتُ نَفْسِي قَدْ انْتَسَبَتْ لِكُلِّيَّةِ الهندسةِ
المعماريَّةِ، دونَ أنْ أفهمَ سببَ إقدامي على هذا
التَّصرُّفِ اللَّامِحْسُوبِ واللَّا مِفْهُومِ؛ فَلَعَلَّ فِعْلِي العَبِيَّ هَذَا
كَانَ بِسَبَبِ رَغْبَةٍ كَامِنَةٍ فِي حَرَضَتِي عَلَى دِرَاسَةِ الهندسةِ
المعماريَّةِ؛ لَكِي أَشِيدَ وَأُفَيِّمَ المَبَانِي. عَلَى النَّقِيضِ مِنْ والِدِي
المُهَنْدِسِ المِقَاوِمِ، الَّذِي فَجَّرَ وَدَمَّرَ كُلَّ مَا طَالَتُهُ يَدَاهُ وَعُبوَاتُهُ
النَّاسِفَةُ، لَكِنْ لِمَنْ أَبْنِي وَأَعْمَرُ وَأَنَا مَا زِلْتُ عَاقِدَةً العَزْمَ وَبِقُوَّةِ

عَلَى مُغَادِرَةِ هَذِهِ الْأَرْضِ الْمَيِّتَةِ وَالْمُمَيَّتَةِ الَّتِي أَبْغَضْتُهَا
وَأَكْرَهْتُهَا!؟

مَضَتْ الْأَيَّامُ كَمَا لَيَالِيهَا ثَقِيلَةً وَحَارِقًا صَيْفُهَا، رَيْنَمَا فَتَحَتْ
الْجَامِعَةَ أَبْوَابَهَا وَصُفُوفَ قَاعَاتِهَا الدَّرَاسِيَّةِ مُغْلِنَةً بَدَأَ الْعَامَ
الدَّرَاسِيَّ، حِينَهَا قَرَّرْتُ أَنْ أُغْلِقَ أَبْوَابِي كُلَّهَا بِوَجْهِ كُلِّ مَنْ
سَيُحَاوِلُ التَّقَرُّبَ مِنِّي أَوْ التَّعَرُّفَ عَلَيَّ مِنْ الطَّالِبَاتِ أَوْ الطَّلَبَةِ؛
لِأَنَّي وَبِبَسَاطَةٍ شَدِيدَةٍ جِدًّا لَا أُرِيدُ صَدَاقَاتٍ تَرْتَبِطُ بِهَذِهِ
الْأَرْضِ الصَّمَاءِ أَوْ أَهْلِهَا الْبَلْهَاءِ، فَصَدَاقَاتُهُمْ مَبْنِيَّةٌ عَلَيَّ
مَفَاهِيمَ غَيْبِيَّةٍ سَادَجَةٍ، تَرَى فِي حُبِّ الْوَطَنِ الَّذِي لَا أُحِبُّهُ،
وَعَلَى وَهُمْ التَّنْضِيحُ وَالْفِدَاءُ الَّذِي لَنْ أُقَدِّمَهُ قُرْبَانًا وَضَرْبِيَّةً
لِأَرْضِ الرِّمَالِ الْمُتَحَرِّكَةِ، الَّتِي تَبْتَلِعُ كُلَّ مَنْ يَفْتَرِبُ مِنْهَا. فَمَا
بِأَلَمٍ بِمَنْ اضْطَرَّ الرَّمْنُ لِكَيْ يَحْيَا مَيِّتًا بِهَا وَبِطِينِهَا وَتُرَابِهَا!؟
أَدْرِكُ جِدًّا بِأَنَّي غَرِيبَةٌ بِأَفْكَارِي، وَصَرِيحَةٌ بِالتَّعْبِيرِ عَنْهَا،
صَرِيحَةٌ لِذَرَجَةِ مَا بَعْدَ الْوَقَاحَةِ؛ ذَلِكَ لِأَنَّي مِمَّنْ لَا يَهْتَمُّونَ
بِرَأْيِ الْآخَرِينَ أَبَدًا، فَارَاوَهُمْ لَنْ تُؤَثِّرَ عَلَيَّ قَنَاعَاتِي الَّتِي وَطَّئْتُ

نَفْسِي عَلَيْهَا مِنْ يَوْمٍ أَنْ أَعْلَقْتُ عَيْنَايَ وَكَفَفْتُ عَنِ الْبُكَاءِ . .
 مَا لَنَا وَالْبُكَاءَ؟! وَذِكْرِيَاتِ الطُّفُولَةِ مَا دُمْتُ كَبِرْتُ عَلَى دَرْبِ
 السَّلَامَةِ الْمَوْصِلِ لِخَارِجِ أَرْضِ الْفَلَسِ وَالطَّيْنِ، قَدْ سِرْتُ وَعَلَى
 مَقَاعِدِ الدَّرَاسَةِ جَلَسْتُ، لَمْ تَكُنِ الدَّرَاسَةُ فِي كَلِيَّةِ الْهَنْدَسَةِ
 صَعْبَةً كَمَا كُنْتُ أَتَوَقَّعُ بَلْ عَلَى الْعَكْسِ تَمَامًا فَقَدْ أَظْهَرْتُ
 النَّتَائِجَ وَالدَّرَاسَاتِ حُصُولِي عَلَى أَعْلَى الدَّرَجَاتِ مِمَّا مَكَّنَنِي
 مِنْ إِجَادِ مَكَانٍ لِي بَيْنَ الطَّلَبَةِ الْخَمْسَةِ الْأَوَائِلِ عَلَى مُسْتَوَى
 الْجَامِعَةِ . . . هَذَا مِنْ نَاحِيَةِ الدَّرَاسَةِ، أَمَّا مِنْ نَاحِيَةِ الْعَلَاqَاتِ
 الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَالصَّدَاقَةِ فَلَقَدْ احْتَلَلْتُ الْمَرْتَبَةَ الْأَخِيرَةَ وَبِجْدَارَةٍ، وَلَا
 عَجَبَ بِذَلِكَ طَبَعًا، ذَلِكَ لِأَنَّي كُنْتُ أَصْدُ بِطَرِيقَةٍ فِطْنَةٍ وَوَقِحَةٍ
 كُلِّ مَنْ يُحَاوِلُ التَّقَرُّبَ مِنِّي أَوْ التَّحَدُّثَ مَعِي؛ لِأَجْلِ أَلَّا يُعَاوَدَ
 الْكُرَّةَ مَرَّةً أُخْرَى؛ فَأَنَا لَا أَبْتَسِمُ وَلَا أَظْهَرُ أَيُّ اِهْتِمَامٍ لِأَيِّ
 مَوْضُوعٍ حَدِيثٍ يُطْرَحُ أَمَامِي، دِرَاسِيًّا كَانَ أَمْ اجْتِمَاعِيًّا أَمْ حَتَّى
 سِيَاسِيًّا؛ فَأَنَا هُنَا لِلدَّرَاسَةِ وَلِلدَّرَاسَةِ فَقَطْ، وَلَا شَيْءَ سِوَى الدَّرَاسَةِ
 وَالتَّفَوُّقِ، فِي تَوَاجُدِي فِي الْجَامِعَةِ وَحَتَّى عِنْدَمَا كُنْتُ أَعُودُ

لِلْمَنْزِلِ فَإِنَّ وَقْتِي وَجُهْدِي مُكْرَسٌ لِأَجْلِ أَمْرٍ وَاحِدٍ وَوَحِيدٍ هُوَ
الدَّرَاسَةُ مِنْ أَجْلِ التَّفَوُّقِ.

فَأَنَا عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ لَا أَسْتَعْمِلُ جِهَارَ الْحَاسُوبِ الْأَثْرِيِّ
الَّذِي امْتَلَكْتُهُ إِلَّا مِنْ أَجْلِ الدَّرَاسَةِ وَالتَّعَلُّمِ؛ فَلَا صَفْحَةَ الْكُتْرُونِيَّةِ
عِنْدِي، وَلَا مَوْقَعًا مِنْ مَوَاقِعِ التَّوَاصُلِ الْاجْتِمَاعِيِّ لَدَيَّ؛ مِمَّا
جَعَلَنِي خَارِجَ التَّغْطِيَةِ فِي الْعَالَمِ الْإِفْتِرَاضِيِّ تَمَامًا كَمَا حَالِي
فِي الْوَاقِعِ الَّذِي خَلَقْتُهُ لِنَفْسِي عَبْرَ تَخِيلَاتٍ نَسَجْتُهَا مِنْذُ نَعُومَةِ
أُظْفَارِي الَّتِي غَدَتِ الْيَوْمَ كَمَا الْمَخَالِبِ..... فَأَنَا أَنَا لَا هُوَ!.

الفصل الثاني

هو لا أنا

مرّت الأسابيع وتتابعت في بداية عامي الدراسي الثاني هادئةً ومملةً تمامًا، كما كانت عليه الحال في عامي الأول، حتى قرّرَ هو لا أنا أن يقلبَ الحالَ رأسًا على عقب، حدث ذلك عندما استيقظنا ليلاً مفزوعينَ خائفينَ بسببِ اهتزازِ جدرانِ منزلنا المتهالكِ، جرّاءَ تفجيرِ جنودِ الإرهابِ الصهيونيِّ لبوابتهِ من أجلِ اقتحامه وتفنيشه ثم تحويله لكومةٍ من الرُّكام بعدَ تفخيخه وتفجيرِهِ، وبالطبعِ حدث ذلك ليس لأتني أنا أنا ولكن...لأنّه هو هو.

فالمحتلّ المُجرم وقواتُ بطشه الهمجية التي عاثتُ خرابًا ودمارًا في أرجاءِ منزلنا، فعلتُ ذلك انتقامًا منه هو لا منّي أنا، ولا من جدّتي ولا والدتي، فنحنُ لم نرتكبُ ما يخالفُ القانون الصهيوني وعُرفَ المحتل وجلاديه وحكامه، وإنما لأنّ المحتل أرادَ أن يوصلَ من خلالنا رسالةً عقابٍ قاسيةٍ ومؤلمة لوالدي

الذي حطم قانونه اللا شرعي، فقاوم على الرغم من كونه
أسيراً بقبضتهم ومكبلًا بسلاسل سجنهم ومدفونًا في جوف
قبرهم.

فقد علمت صباحًا مما كان يردده الجنود الغزاة الذين
واصلوا احتجاجنا مكبلين بالقيود طوال الليل، رينما أتموا
التفتيش والتفخيخ والتفجير، فقد قاموا بذلك بناءً على أمر
رئيس حكومة دولة الاحتلال، الذي أصدر أوامره بتفجير
منزلنا ومأوانا كعقاب أولي ورد فعل طبيعي على العملية
الجهادية التي خطط لها الوالد من داخل سجنه ومعزله كما
يدعون.

ما إن غابت الشمس حتى حُجب نورها، وتبدد شعاعها وتاه
لثواني عدة؛ جزاء غبار المنزل الذي غطى السماء نتيجة
تفجير الجائرين لما كان مأوانا، هذا وبكل بساطة تحول منزلنا
لركام متناثر وسط بحر من الغبار، عندها فقط قام الجنود
المدججين بشتى أنواع السلاح الفتاك بفك القيود من حول

معاصم أيادينا نحنُ نساءَ البطلِ العُزْلِ الباكياتِ الخائفاتِ
المذعوراتِ وغادروا المكان.

آآه منك يا والدي، آآه من أفعالك، ألم يكن من الأفضل لك
لو أنك تفضلت علينا واستشهدت لكنت أرحتنا
وارتحت؟!..... لا أن تتعب وتُتعب، فكونك أسيراً عند
الصَّهانية جعلنا أسرى عندهم، حالنا كحالكَ، مما حوّلنا ورعماً
عنا لسوطٍ جلاذٍ يجلدونك به، وحوّلك لمطرقةٍ من عصا
تُضربُ بها، إذا ما عصيت قانونهم وعبثت بأمنهم الواهم الذي
افترضوه، عندما اختلّفوا لأنفسهم وطناً وكأنهم الخالقُ المعطي
المُمنّ.

آآه منك يا والدي البطل ... ألم تعلم أن المقاومة قد ماتت
وؤنّدت منذُ زمنٍ تحت أقدامِ العمالةِ الأوسلويةِ
التي أوجدتها المحتلُّ لتكونَ جزءاً لا يتجزأ
من أجهزته الأمنيةِ القمعيّةِ، من أجلِ مُحاربةِ كلِّ ما
يُمْتُّ للإسلامِ والمقاومةِ واللهِ وعبادهِ المخلصينَ بصلّة؟!!

كما أنك لا تزالَ حَالِمًا مُغَيَّبًا... فَمِ وَبَاغَتْ ضَمِيرَكَ الْحَيَّ
فَاقْتَلْتُهُ، فَمَا عَادَ فِي فِلَسْطِينِكَ الْمُبَارَكَةِ مَا يَسْتَحِقُّ أَنْ تُقَاتِلَ مِنْ
أَجْلِهِ، وَمَا عُدْنَا بِحَاجَةٍ إِلَى أَصْحَابِ الضَّمَائِرِ الْحَيَّةِ الْمُقَاوِمَةِ
الَّتِي غَدَتْ كَمَا الْعُمَلَةُ النَّادِرَةُ حَيْثُ يَصْعَبُ إِيجَادُهَا بِأَرْضِ
الْفِلَسْطِينِ الْمَنْهُوبِ وَالطَّيْنِ الْمُبَاعِ، فَأَصْحَابُ الضَّمَائِرِ الْحَيَّةِ إِمَّا
شُهَدَاءُ أَوْ أُسْرَى أَوْ مُطَارَدُونَ وَمُلَاحِقُونَ وَمُشْرَدُونَ، وَإِمَّا
مُحَاصِرُونَ هُنَاكَ بَعِيدًا فِي غَزَةِ الْمُقَاوِمَةِ وَالْعِزَّةِ.
وَالدِّي بِالْأَمْسِ الْبَعِيدِ اعْتَقَلَكَ الصَّهَابِينَةُ بَعْدَمَا وَشَى بِكَ
وُشَاةُ شَاهِ أَوْسَلُو وَعَرَّابِيهَا؛ فَاهْتَزَّتْ أَرْكَانُ الْقَرْيَةِ وَثَارَتْ عَنِ
بَكْرَةِ أَبِيهَا؛ فَأَحْرَقَ أَهْلُهَا الْإِطَارَاتِ فِي الشُّوَارِعِ وَالطَّرِيقَاتِ،
فَأَعْلَقُوهَا وَأَلْفَوْا الْحِجَارَةَ وَالزَّجَاجَاتِ الْحَارِقَةَ فِي وَجْهِ مُعْتَقَلِكَ
الْمُحْتَلِّينَ.

كَانَ عُمْرِي حِينَهَا أَيَّامًا عِدَّةً، أَمَّا الْيَوْمَ وَقَدْ جَاوَزْتُ النَّسْعَةَ
عَشَرَ عَامًا وَأَكْثَرَ، فَقَدْ تَغَيَّرَتِ الْحَالُ وَمَا عَادَتْ قَرِينُكَ كَمَا

كَانَتْ وَأَمْسَى النَّاسُ غَيْرَ النَّاسِ، فَأَعْيُنُهُمْ أَصْبَحَتْ لَا يَرَى
 فِيهَا سِوَى الدِّينَارِ وَالذُّوْلَارِ، وَأَذَانُهُمْ لَا يُسْمَعُ بِهَا إِلَّا لَحْنُ سَلَامِ
 الْخُدْلَانِ الْوَاهِمِ وَسَلَامِ الْجِرْدَانِ الْمَصْحُوبِ بِالطَّاعُونَ.
 وَالذِّي الْغَائِبُ الْمَغِيَّبُ، لَقَدْ دَوَّى صَوْتُ انْفِجَارِ مَنْزِلِنَا
 عَالِيًا، فَسَمِعَ مَنْ هُمْ فِي جَوْفِ الْقُبُورِ صَوْتَ دَوِيَّهِ، وَأَعْمَى
 غُبَارُ رِكَامِهِ الْمُتَنَائِرُ أَعْيُنَ الْمَوْتَى فِي تِلْكَ الْقُبُورِ، إِلَّا أَنَّ أَهْلَ
 قَرْيَتِنَا الْمَيْتَةَ حَالَهُمْ كَحَالِ أَهْلِ فِلَسْطِينَ لَمْ يَعْبُتُوا بِمَا حَلَّ بِنَا
 بِفِعْلِ الْانْفِجَارِ؛ فَالْجَارُ جَارٌ وَلَمْ يَنْزُرْ، وَالْأَخُ تَخٌّ وَنَخٌّ، حَالُهُمَا
 كَحَالِ أَهْلِ الْقَرْيَةِ الذِينَ لَمْ يَهْبُتُوا كَرَامَةً لَا لَكَ وَلَا لِأَنْفُسِهِمْ أَيُّهَا
 الْبَطْلُ الْهُمَامُ كَمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ بِالْمَاضِي،
 لَيْسَ لِأَتْنَهُمْ لَمْ يَرَوْا وَلَمْ يَسْمَعُوا وَلَمْ يَعُوا مَا حَلَّ بِنَا،
 بَلْ لِأَتْنَهُمْ غَدَا عَبِيدًا لِلْقَمَةِ الْخُبْزِ الْمَخْبُوزِ بِطَحِينِ الذُّلِّ وَمَاءِ
 الْهَوَانِ وَالْعَارِ، عَبِيدًا لِسُلْطَةِ أَوْسَلُو التِّي اسْتَعْبَدَهَا الْمُحْتَلُّ،
 وَامْتَنَى ظَهْرَهَا، فَاسْتَعْبَدَتْ أَبْنَاءَ الْأَرْضِ الْمَقْدَسَةِ
 وَامْتَنَتْ رِقَابَهُمْ، مُحَوَّلَةً إِيَّاهُمْ لِعَبِيدٍ لَا يَرُونَ
 وَلَا يَسْمَعُونَ إِلَّا مَا يَرَاهُ وَيَسْمَعُهُ فِرْعَوْنُ السُّلْطَةِ

وهامانُ البطشِ وقارونُ المَالِ الأوسلوي اللعين.
والدي الطيب المسكين اعبد الله وتقرّب إليه بالصلاة
والصيام والدعاء، واترك عنك عناء الجهاد والمقاومة
ومشقاتهما، فما عاد لسان الإسلام مكان ولا موطن قدم هاهنا
في معراج المصطفى!؛ لأنّ الإسلامَ غذا اليومَ غريبًا وطريدًا
وملاحقًا ممّن اتّخذوا في حربهم على عباد الله المخلصين
وسيلةً للتقرّب إلى أبالسة الإنس والجنّ، أبالسة بني صُهيونَ
وعُباد الصليب.

وليّ أمري... مِنْ بَعْدِكَ عَدَوْنَا إِلَى حَالٍ،
بِلا حَامِي حِمَى يَحْمِينَا، وَبِسَبِّكَ بَنْنَا لَيْلَتَنَا بِلا سَفْفِ بَيْتِ
يُؤْوِينَا، وَبِلا مَالٍ عَنْ مَدِّ أَيَادِينَا يُغْنِينَا، مِمَّا حَوَّلْنَا إِلَى أَيَتَامٍ
عَلَى مَوَائِدِ اللَّثَامِ، رُغْمَ أَنَّكَ أَيُّهَا الْبَطْلُ الْهَمَامُ، وَوَلِيَّ أَمْرِنَا
الْمِقْدَامِ، حَيٌّ تُرْرَقُ.... حَيٌّ كَمَا الْأَمْوَاتِ.... حَيٌّ تَجْلِبُ
الْمَاسِي وَالْآلَامَ وَالْمَصَانِبَ الْوَاحِدَةَ تَلَوَ الْأُخْرَى لِمَنْ تَدْعِي أَنَّكَ
تُحِبُّهُمْ.

لَمْ أَتَجَنَّ عَلَيْكَ يَوْمًا، لِأَتَكَ الْجَانِي وَالْجَلَادُ، وَلَا لِأَتْنِي لَمْ
 وَلَنْ أَرْحَمَكَ؛ بَلْ لِأَتْنِي لَمْ أَجِدْ بِسَبَبِ أفعالِكَ مِنْ يَرْحَمُنِي.
 نعم ... بِسَبَبِكَ أَنْتَ يَا بَطْلُ، يَا مَنْ تُصِرُّ عَلَى عَدِمِ الْخُنُوعِ
 وَالرُّكُوعِ وَالِاسْتِسْلَامِ، كَمَا سَبَقَ لغيرِكَ مِنَ الْأَلْفِ الْمُؤَلَّفَةِ
 الَّتِي تَحْيَا كَالْأَمْوَاتِ تَحْتَ تَسَلُّطِ أَوْسَلُو، بَعْدَ أَنْ خَضَعُوا
 وَخَنَعُوا، ثُمَّ رَكَعُوا، بَعْدَ أَنْ اسْتَسَلَمُوا لِسَيِّدِهِمِ الْأَوْسَلَوِيِّ، وَلِسَيِّدِ
 سَيِّدِهِمِ الصَّهْيُونِيِّ، لَا لِلتَّانِزِلِ وَلَا لِلتَّطْبِيعِ وَلَا لِلخُنُوعِ وَالرُّكُوعِ،
 وَلَا، لِسَلَامِ الْاسْتِسْلَامِ، وَلَا، لِسَلَامِ الْخِزْيِ وَالْعَارِ، وَنَعَمَ،
 لِتَحْرِيرِ فِلَسْطِينَ، كَلِّ فِلَسْطِينَ مِنْ دَنَسِ الْمُحْتَلِّ الصَّهْيُونِيِّ
 وَالْمُنْحَلِّ الْأَوْسَلَوِيِّ وَالغَرْقَدِيِّ^(١)، تِلْكَ الشُّعَارَاتُ الَّتِي مَاتَتْ
 مُنْذُ أَنْ مَاتَ الْحَقُّ، الَّذِي مَاتَتِ الْقُوَّةُ دُونَ أَنْ تَتِمَّكَ مِنْ إِحْقَاقِهِ
 وَحِمَايَتِهِ، أَلَمْ يَكُنْ الْأَجْدَرُ بِكَ يَا وَالِدِي الْبَطْلُ أَنْ تَمُوتَ كَمَا
 مَاتَ الْحَقُّ أَمْ أَنْتَ تَنْظُنُّ أَنَّ الْحَقَّ لَا يَمُوتُ مَا دَامَ أَمثَالُكَ مِنْ

الغرقدي: لفهم معنى كلمة الغرقدي يُرجى قراءة كتاب (عقيدة الغرادة) للكاتب عبد الله غالب
 البرغوثي.

أَبْطَالِ الْوَهْمِ أَحْيَاءَ وَيُطَالِبُونَ بِهِ، أَمْ أَنْتَ أَضَعْتَ بَوَصَلَتَكَ
تَمَامًا كَمَا ضَاعَ الْوَطْنُ فِي مَزَادِ الْأَجْنَدَاتِ الْمُسَاوِمَةِ، أَجْنَدَاتِ
بَنِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ مِنْ أَعْرَابٍ وَمُتَأَسِّلِينَ.

أَبْتِ، لَقَدْ ابْتَلَانَا اللَّهُ بِكَ، فَاكْفُفْ بِلَوَاكِ عَنَّا وَارْفَعْ أَدَاكَ
عَنَّا، مَتَى بِسَلَامٍ حَتَّى نَحْيَا بِسَلَامٍ، فَمَا عُدْنَا قَادِرِينَ عَلَى
تَحْمَلِ الْمَزِيدِ مِنَ الْأَلَامِ وَالْأَحْزَانِ وَالْأَهْوَالِ بِسَبَبِكَ، يَا لَيْتَنِي
كُنْتُ قَادِرَةً عَلَى التَّبَرُّؤِ مِنْكَ وَمِنْ أَعْمَالِكَ، فَهَذَا يَجْنِبُنِي دَفْعَ
تَبِعَاتِهَا وَدَفْعَ أَثْمَانِهَا، إِلَّا أَنَّنِي وَمُنْذُ هَذِهِ اللَّحْظَةِ سَوْفَ أَبْحَثُ
عَنِ الطَّرِيقَةِ الْمُنَاسِبَةِ الَّتِي تُمَكِّنُنِي مِنْ إِعْلَانِ الْبِرَاءَةِ مِنْكَ
وَمِنْ أَعْمَالِكَ! شِئْتَ أَمْ أَبَيْتَ يَا أَبْتِ! ...شِئْتَ أَمْ أَبَيْتَ يَا
أَبْتِ! ...

الفصل الثالث

هو أعدّ واستعدّ

نعم، كدنا أن نبين ليلتنا الثانية أيضًا بلا سقف بيت
يؤوبنا، لولا أنه هو أعدّ واستعدّ بشكل جيد لما توقع حدوثه،
بل لما أيقن حتمية وقوعه، أدركت ذلك عندما انقشع غبار
منزلنا الذي فجر فجرًا، وما إن انقشع غباره،
حتى تبدد معه غبار من نوع آخر،
غبار من ذلك النوع الذي يكبل العقل والفكر،
فيعمي بصيرة صاحبه، كما يعمي بصره، عن رؤية الحقيقة
الواضحة الذي ينافس سطوعها سطوع نور الشمس وقت
الظهيرة.

غادر غراب الاحتلال المكان تاركين خلفهم آثار قيود
السلاسل التي أدمت معاصم أيادينا والغبار الذي كاد يعمينا،
وعندها توافد -إلى حيث كنا وكان الركائز- العديد من العباد

.... عِبَادُ الرَّحْمَنِ وَعِبَادُ الشَّيْطَانِ، فَقَدْ كَانَ يُمَيِّزُ بَيْنَ الطَّرْفَيْنِ
 أَمْرٌ يُسَهِّلُ التَّمْيِيزَ بَيْنَهُمْ، بِمُجَرَّدِ النَّظَرِ إِلَى عْيُونِهِمُ وَالْتَّمَعُنْ
 فِي مَعَالِمِ وُجُوهِهِمْ ، فَهَذَا حَزِينٌ صَادِقٌ تَكَادُ دَمْعَةُ الْحُزْنِ الَّتِي
 تُوحِي بِالْعَجْزِ نَفْرٌ مِنْ عَيْنِيهِ، وَذَلِكَ فَرِحَ وَعَدُّ يُحَاوِلُ مُدَارَاةَ
 ابْتِسَامَةِ الشَّمَاتَةِ وَالتَّشْفِي، إِلَّا أَنَّ عَيْنِيهِ تَفْضَحَانِيهِ، وَتِلْكَ الْمَرْأَةُ
 بَاكِةٌ عَيْنَاهَا كَمَا الْجُرْحُ مِنْ شِدَّةِ الْأَلَمِ الصَّادِقِ، أَمَا هَذِهِ طَلَّتْ
 وَجْهَهَا صَبَاحًا بِأَبْحَسِ مَسَاحِقِ التَّجْمِيلِ وَالزَّيْنَةِ، وَكَأَنَّهَا فِي
 الطَّرِيقِ إِلَى حَفْلَةِ عُرْسٍ مَسَائِيَّةٍ، وَتِلْكَ الطِّفْلَةُ الْمَلَائِكَةُ تَحْمِلُ
 رَايَةَ خَضْرَاءَ اِزْدَانَتْ بِكَلِمَتِي اللَّهُ أَكْبَرَ، فَحَمَلَتْهَا لِتَعْرِسَهَا فَوْقَ
 كَوْمَةِ الرُّكَامِ، أَمَا هَذَا الْفَتَى الْأَزْعَنُ الْغَادِرُ، فَيُحْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ
 جِهَازِ اتِّصَالٍ؛ لِكَيْ يُصَوِّرَ بِهِ وُجُوهُ الْحَاضِرِينَ وَيَتَلَصَّصَ
 عَلَيْهِمْ لِصَالِحِ وَالِدِهِ الْعَبْدِ الَّذِي عَبَدَ شَيْطَانَ السُّلْطَةِ فَخَانَ
 وَبَانَ.

بَقِيَتْ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ مِنْ تَأْمُلٍ لِلوُجُوهِ وَالْعْيُونِ وَتَحْلِيلِ
 لِمَقَاصِدِ أَصْحَابِهَا؛ فَهَذَا حَضَرَ لِرُؤْيَاةِ الرُّكَامِ وَالشَّمَاتَةِ، وَذَلِكَ
 حَضَرَ لِلِاطْمِئْنَانِ عَلَى الْأَرْحَامِ، أَمَا تِلْكَ الْفَتَاةُ الَّتِي تَرْتَدِي

نِفَابًا عَانَقْتَنِي قَبْلَ أَنْ تَلْتَقِيَ عَيْنَايَ بِعَيْنَيْهَا فَعَلِمْتُ مُبْتَغَاهَا
الذِي سُرْعَانَ مَا كَشَفْتَ لِي عَنْهُ، حِينَ دَسَّتْ فِي كَفِّ يَدِي
رِسَالَةً فَقَالَتْ لِي بِصِغَةِ الْأَمْرِ: وَرُود . . . هَذِهِ الرَّسَالَةُ أَمَانَةٌ
كُفِّتْ بِإِصَالِهَا لَكَ، فَأَنْتَحِي جَانِبًا بَعِيدًا عَنِ أَعْيُنِ النَّاسِ
الْمُتْرَصِدَّةِ لِنَقْرِئِهَا، فَهَا أَنَا أَنْتَظِرُكَ أَنَا وَوَالِدِي فِي تِلْكَ السَّيَّارَةِ
الْبَيْضَاءِ؛ إِذَا مَا أَرَدْتَ الْإِسْتِجَابَةَ لِمَا كُتِبَ فِي هَذِهِ الرَّسَالَةِ
الَّتِي خَصَّكَ بِهَا وَالِدُكَ مِنْ خَلْفِ أَسْوَارِ سَجْنِهِ وَمَعْزِلِهِ .
مَا إِنْ أَتَمَّتِ الْفَتَاةُ الْمُنْقَبَةُ حَدِيثَهَا حَتَّى تَمَكَّنْتُ مِنْ تَحْدِيدِ
هُوِّيَّتِهَا، فَأَدْرَكْتُ حِينَهَا أَنَّهَا إِحْدَى قَرِيبَاتِنَا، بِالإِضَافَةِ إِلَى أَنَّ
وَالِدَهَا يُعْتَبَرُ مِنْ أَعَزِّ أَصْدِقَاءِ وَالِدِي، وَسَبَقَ لَهُ أَنْ تَعَرَّضَ
لِلسَّجْنِ وَالِإِعْتِقَالِ عِدَّةَ مَرَّاتٍ عَلَى امْتِدَادِ الْأَعْوَامِ الْمَاضِيَةِ؛
لِذَلِكَ قُلْتُ لَهَا كَمَا تَرَيْنَ تَحَوَّلَ مَنزِلُنَا إِلَى كَوْمَةٍ رُكَّامٍ فَلَا أُجْدُ
مَكَانًا أَسْتَطِيعُ الْإِنْزِوَاءَ بِهِ بَعِيدًا عَنِ أَعْيُنِ الْمُتَطَفِّلِينَ سِوَى
سَيَّارَةِ وَالِدِكَ، وَإِنَّ ذَهَابِي بِرِفْقَتِكَ نَحْوَهَا وَالْجُلُوسَ دَاخِلِهَا لَنْ
يُثِيرَ الشُّكُوكَ؛ فَنَحْنُ مِنَ الْعَائِلَةِ نَفْسِهَا، وَطَالِبَاتِنِ مِنْ نَفْسِ
الْجَامِعَةِ، أَوْمَأَتْ بِرَأْسِهَا مُوَافَقَةً فَاِنْطَلَقْنَا نَحْوَ السَّيَّارَةِ، وَمَا إِنْ

اَقْتَرَبْنَا مِنْهَا حَتَّى بَادَرَنِي صَدِيقُ وَالِدِي بِالْتَّرْحَابِ وَالْمَوَاسَاةِ،
 ظَنًّا مِنْهُ أَنَّي قَرَأْتُ الرِّسَالَةَ وَتَجَاوَبْتُ مَعَ مَحْتَوَاهَا بِشَكْلِ
 إِبْجَابِيٍّ، فَهُوَ يَعْلَمُ مَوْقِفِي الْعِدَائِيِّ مِنْ وَالِدِي وَمِنْهُ أَيْضًا،
 إِلَّا أَنَّ ابْنَتَهُ سَارَعَتْ بِبَيِّنَانِ الْمَوْقِفِ لَهُ،
 مِمَّا حَدَا بِي لِفَتْحِ بَابِ السِّيَارَةِ؛ لِتَرْكِ مِسَاحَةٍ مِنَ الْخُصُوصِيَّةِ
 لِي؛ حَتَّى أَتَمَكَّنَ مِنْ قِرَاءَةِ الرِّسَالَةِ بِتَمَعْنٍ وَتَأَنٍّ، بِنَاءً عَلَى
 طَلَبِ صَدِيقِهِ الْبَطْلِ، وَرَفِيقِ دَرَبِهِ الْمَغُورِ كَمَا قَالَ لِي.
 أَصْبَحَ مِنَ الْجَلِيِّ أَنَّ هُنَاكَ أَمْرًا مُهِمًّا جِدًّا تَحْتَوِيهِ هَذِهِ الرِّسَالَةُ
 الَّتِي وَصَلْتَنِي فِي وَقْتِ حَرِّجٍ وَصَعْبٍ، فَمَشَاعِرَ الْعُضْبِ
 تَمَلَّكْتَنِي بِشَكْلِ كَامِلٍ، كَمَا أَنَّي كُنْتُ بِأُضْعَفِ حَالَاتِي
 الْجَسَدِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ؛ لِذَلِكَ سَارَعْتُ بِفَتْحِ الرِّسَالَةِ؛
 لَعَلِّي أَجِدُ فِيهَا مَا يَسْتَحِقُّ عَنَاءَ الْقِرَاءَةِ، وَلَعَلَّ مَا تَحْتَوِيهِ يَكُونُ
 أَكْبَرَ مِنْ قِسَّةٍ أَوْهَمَتْ نَفْسِي أَنَّهَا طَوْقُ النَّجَاةِ.

بدأت قراءة الرسالة وكان مما كُتِبَ فيها والدي المغوار:

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ
الْخَلْقِ وَالْمُرْسَلِينَ، سَيِّدِ الْمُجَاهِدِينَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

ابنتي الحبيبة ورود، عِنْدَمَا تَصِلُكَ هَذِهِ الرَّسَالَةُ سَيَكُونُ أَمْرٌ
مِنْ اثْنَيْنِ قَدْ حَدَثَ، فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ اللَّهُ -تَعَالَى وَتَبَارَكَ- قَدْ
أَمَرَ بِقَبْضِ رُوحِي خَلْفَ جُذُرَانِ الْأَسْرِ وَالْمُعْتَقَلِ، فَمِمَّا لَا
يَخْفَى عَلَيْكَ أَنَّنِي مُصَابٌ بِمَرَضٍ عُضَالٍ فِي الْقَلْبِ وَهَذَا
يَجْعَلُ مَسْأَلَةَ مَوْتِي أَمْرًا قَابِلًا لِلْحُدُوثِ، فَالَسَّجَانُونَ الصَّهَائِنَةُ
لَا يَقْدُمُونَ لِي وَلَا لِعَيْرِي أَيَّ نَوْعٍ مِنَ الدَّوَاءِ أَوْ الْعِلَاجِ بَلْ عَلَى
العكسِ تَمَامًا فَهُمْ يَدْفَعُونَ بِنَا نَحْوَ الْمَوْتِ دَفْعًا، هَذَا الْأَمْرُ
الْأَوَّلُ.

أَمَّا الْأَمْرُ النَّائِي الَّذِي قَدْ تَصَلُّكَ الرَّسَالَةُ بِسَبَبِهِ هُوَ قِيَامُ
الصَّهَابِيَّةِ بِهِمْ أَوْ تَفْجِيرِ مَنْزِلِ جَدِّكَ الَّذِي انْتَقَلْتُمْ لِلْعَيْشِ فِيهِ،
بعد أن تَمَّ تَفْجِيرُ مَنْزِلِ جَدِّكَ الَّذِي كُنَّا نَسْكُنُهُ سَابِقًا.
وَرُودُ الْجَمِيلَةِ، أَعْلَمُ وَمُنْذُ زَمَنِ بَعِيدٍ أَنْتَ غَاضِبَةٌ مِنِّي
وَحَافِدَةٌ عَلَيَّ، وَكَارِهَةٌ لِلْحَالِ الَّذِي وَصَلْتُمْ إِلَيْهِ بِسَبَبِي! وَلَكِنْ مَا
بِالْيَدِ حِيلَةٌ يَا ابْنَتِي، فَهَذَا قَدَرُ اللَّهِ الَّذِي كَتَبَهُ لَنَا مُنْذُ أَنْ خَلَقْنَا
وَلَا مَفَرَّ لَنَا مِنْ هَذَا الْقَدَرِ الرَّبَّانِيِّ إِلَّا إِلَيْهِ، فَحُضُنْ يَا وَرْدَةَ
بُسْتَانِ قَلْبِي الْحَزِينِ، أَبْنَاءَ شَعْبٍ قَدَّرَ لَهُ الْمَوْلَى تَعَالَى
وَتَبَارَكَ أَنْ يَقِفَ سَدًّا مَنِيعًا فِي وَجْهِ الصَّهَابِيَّةِ،
وَوَجْهِ مَشَارِعِهِمُ الْقَائِمَةِ عَلَى الْاِخْتِلَالِ وَالْقَتْلِ
وَالْإِزْهَابِ وَالتَّهْجِيرِ وَالسَّلْبِ وَالتَّهْبِ . . . عُدْرًا وَرُودًا،
كُلَّ الْعُدْرِ فَلَقَدْ خَرَجْتُ عَنْ صُلْبِ الْمَوْضُوعِ وَجَوْهَرِ الرَّسَالَةِ.
وَرُودًا، صِدْقًا مَا عُدْتُ أَعْلَمُ إِنْ كَانَ مِنَ الْمُجْدِي أَنْ
أَخُوضَ مَعَكَ حِوَارًا أَبَوِيًّا دَافِنًا، أَوْ عَصَفًا فِكْرِيًّا وَاقِعِيًّا، وَذَلِكَ
بِالطَّبْعِ لِعِلْمِي الْمُسَبِّقِ أَنْتَ وَمُنْذُ نُعُومَةِ أَظَافِرِكَ قَدْ أَغْلَقْتَ

أَبْوَابَ عَقْلِكَ وَقَلْبُكَ فِي وَجْهِ بِشْكَلٍ خَاصٍّ، وَفِي وَجْهِ كُلِّ مَا
يَمُتُّ لِلْمَقَاوِمَةِ وَتَحْرِيرِ فِلَسْطِينَ بِقُدْسِهَا وَأَقْصَاهَا بِصِلَتِهِ، وَأَعْلَمُ
أَيْضًا أَنَّكَ كَبَلْتِ جَوْهَرَةَ رُوحِكَ بِأَوْهَامٍ، جَعَلْتِ مِنْهَا قَنَاعَاتٍ
ثَابِتَةً وَرَاسِخَةً عَلَى الرَّغْمِ مِنْ خَطِيئَتِهَا، وَمِنْ أَنَّهَا لَا تَمُتُ
لِلْحَقِيقَةِ وَلَا لَوَاجِبِنَا الْجِهَادِيِّ الْمُقَدَّسِ الَّذِي خُلِقْنَا مِنْ أَجْلِهِ
بِصِلَتِهِ، لِذَلِكَ أَشْعُرُ بِالْأَلَمِ عَمِيقٍ يَعْتَصِرُ قَلْبِي وَأَنَا أَكْتُبُ هَذِهِ
الْكَلِمَاتِ يَا ابْنَتِي، الَّتِي مَا عُدْتُ أَعْلَمُ
حَقِيقَةَ غَضَبِهَا مِنِّي وَمِمَّا قُمْتُ بِهِ ضِدًّا مِنْ إِحْتِلَالِ أَرْضِنَا
وَدَنَسِ قُدْسِنَا وَشَرَّدِ شَعْبِنَا وَيَتَمُّ أَطْفَالِنَا.
وُرُود، وَحَتَّى لَا أُطِيلَ وَإِنْ كَانَ ضَيْقُ ذَاتِ الْيَدِ وَالْفَقْرِ
النَّسْبِيِّ الَّذِي عَشِبْتَ فِي ظِلِّهِ عَلَى امْتِنَادِ الْأَعْوَامِ الْمَاضِيَةِ هُوَ
مَا جَعَلَكَ غَاضِبَةً وَنَاقِمَةً عَلَيَّ فَلَا تَقْلَقِي بَعْدَ الْيَوْمِ أَبَدًا . . .

نَعَمْ، لَا تَقْلَقِي بَعْدَ الْآنِ لِإِنِّي قَدْ أَعَدَدْتُ وَاسْتَعَدَدْتُ،
حَيْثُ تَرَكْتُ لَكَ مِنَ الْمَالِ الْكَثِيرِ الْكَثِيرَ مِمَّا سَيُمْكِّنُكَ مِنْ
الْعَيْشِ كَمَا الْأَمِيرَاتِ، وَإِنْ كَانَ التُّرَابُ الْمُتَسَاقِطُ مِنْ سَفْفِ

مَنْزِلِ جَدَّتِكَ الْمُتَدَاعِي هُوَ مَا يُنْعَصُ عَيْشِكَ،
 فَلَا تَقْلَقِي بِخُصُوصِ ذَلِكَ أَبَدًا، فَبِمُجَرِّدِ أَنْ أَمُوتَ
 سَتَسْتَلِمِينَ مَفَاتِيحَ مَنْزِلِ كَمَا الْفُصُورِ. سَيَصِلُكَ خَبْرٌ بِأَنَّي قَدْ
 أَسْلَمْتُ رُوحِي لِإِبَارِيئِهَا وَمَا عُدْتُ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْأَرْضِ الطَّيِّبَةِ
 الْمُبَارَكَةِ، يَا ابْنَتِهَا الطَّيِّبَةِ عَاجِلًا أَمْ آجِلًا، أَوْ أَنَّ مَنْزِلَ جَدَّتِكَ
 قَدْ دُمِّرَ وَفُجِّرَ فِدَاءً لِأَرْضِنَا الْمُقَدَّسَةَ بِنَظْرِي . . . الْمُدْنَسَةَ
 بِنَظْرِكَ.

حَقِيقَةً مَا عَادَ السَّبَبُ يَهْمُنِي قَطًّا، أَوْ يَهْمُكَ فَبِمُجَرِّدِ أَنْ
 تَنْتَهِيَ مِنْ قِرَاءَةِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ فَلَنْ تَجِدِي مِنِّي مَا كَانَ سَابِقًا،
 فَمَا عُدْتُ قَادِرًا عَلَى مُوَاصَلَةِ مُقَاوَمَةِ الْمُحْتَلِّ، فَقَلْبِي قَدْ تَعَبَ
 وَأَتَعَبَنِي، وَجَسَدِي مَا عَادَ قَادِرًا عَلَى الْوَفَاءِ بِمَهَامِهِ.
 سَأُنْزَوِي فِي زَاوِيَةِ زِنْرَانْتِي مُنْتَظِرًا مَلَكَ الْمَوْتِ بِهُدُوءٍ
 وَصَمْتٍ، أَمَا أَنْتِ فَلَكِ الْحَيَاةُ الْهَانِيَّةُ الْوَرْدِيَّةُ يَا وَرُودَ،
 وَلِي الْمَوْتُ الْهَادِي وَلكِ مِنِّي أَيْضًا الْإِعْتِدَارُ،
 عَلَى كُلِّ مَا بَدَرَ مِنِّي أَوْ أَرْعَجَكَ أَوْ أَعْضَبَكَ أَوْ أَلَمَكَ.
 مَالٌ كَثِيرٌ وَمَنْزِلٌ كَبِيرٌ . . . الْمَالُ مَالٌ جَدَّكَ الَّذِي

أُورِثَنِي إِيَّاهُ وَتَمَكَّنَ أَصْدِقَائِي الْأَوْفِيَاءُ الْأَتْقِيَاءُ مِنَ الْحِفَافِ عَلَيْهِ
وَمُضَاعَفَتِهِ أَضْعَافًا كَثِيرَةً، وَبِالطَّبْعِ حَدَثَ ذَلِكَ بَعِيدًا عَنْ أَعْيُنِ
أَلْصُوصِ أَوْسَلُو اللَّعِينَةَ، وَعَنْ أَعْيُنِ أَسْيَادِهِمُ الصَّهَابِيَّةِ فَهَمُ
سَعَوْا بِكُلِّ مَا آتَاهُمُ الشَّيْطَانُ مِنْ قُوَّةٍ وَحَبْثٍ لِلْوُصُولِ إِلَى ذَلِكَ
الْمَالِ، الَّذِي نَمَا تَحْتَ عَيْنِ اللَّهِ فَأَثْمَرَ وَكَبَّرَ وَقَاوَمَ . . . أَمَّا
الْمَنْزِلُ الْفَخْمُ فَهُوَ الْآخَرُ أَيْضًا جُزْءٌ لَا يَتَجَرَّأُ مِنْ ذَلِكَ الْمَالِ
فَأَنَّا لَمْ أَشَأْ أَنْ تَكْبُرِي بِلَا سَفْفٍ مَنْزِلِ آمِنِ يُؤْوِيكَ أَنْتِ وَوَالِدَتِكَ
وَجِدَّتِكَ.

وُرُود . . . لَقَدْ تَعَمَّدْتُ إِخْفَاءَ ذَلِكَ كُلَّهُ عَنْكُمْ لِحِمَايَتِكُمْ
أَوَّلًا، وَلِكَيْ أُحَافِظَ لَكُمْ عَلَيْهِ ثَانِيًا، فَكَمَا سَبَقَ وَأَنْ قُلْتُ فَإِنَّ
الْمُحْتَلِينَ وَالْمَنْحَلِينَ يَسْعُونَ بِقُوَّةٍ لِلْوُصُولِ إِلَى ذَلِكَ الْمَالِ
الْحُرِّ وَالْحَيِّ، الَّذِي قَاوَمَ بِأَمْرِ جَدِّكَ أَوَّلًا، وَبِأَمْرِي بَعْدَ وَفَاتِهِ
ثَانِيًا، أَمَّا بَعْدَ وَفَاتِي وَمَمَاتِي فَلَا أَعْلَمُ مَاذَا سَتَفْعَلِينَ بِهِ.

الآن وَبَعْدَ أَنْ مِتُّ فَلَا تَحْشَى مِنْ مُصَادَرَةِ ذَلِكَ الْمَالِ
الَّذِي أَحْكَمْتُ إِخْفَاءَهُ عَنْهُمْ وَبِنَفْسِ الْوَقْتِ لَا تَحْقِدِي عَلَيَّ؛

لَأَنْنِي قَدْ خَصَصْتُ جُزْءًا مُهِمًّا مِنْ ذَلِكَ الْمَالِ لِإِخْوَتِي
الْمُقَاوِمِينَ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُمْ لَيْسُوا بِحَاجَةٍ لَهُ فَاللَّهُ أَغْنَاهُمْ
وَكَفَاهُمْ؛ إِلَّا أَنَّنِي أَرَدْتُ مِنْ خِلَالِ تَبَرُّعِي هَذَا التَّقَرُّبُ مِنَ اللَّهِ
تَعَالَى وَتَبَارَكَ عَبْرَ مَوَاصِلَةِ دَعْمِي وَدَعْمِ جَدِّكَ الشَّهِيدِ
لِفَرِيضَةِ الْجِهَادِ بِالْمَالِ تَمَامًا كَمَا فَعَلَ وَالِدُ جَدِّكَ، فَالْجِهَادُ
بِالْمَالِ مُقَدَّمٌ عَلَى الْجِهَادِ بِالنَّفْسِ كَمَا تَعَلَّمِينَ أَوْ لَا تَعَلَّمِينَ.

أَمَّا الْجُزْءُ الْأَكْبَرُ مِنَ الْمَالِ فَسَوْفَ يُسَلَّمُ لَكَ بِطَرِيقَةٍ آمِنَةٍ
وَذَلِكَ الْمَنْزِلِ، أَمَّا جُنَّتِي فَلَا أَظُنُّ أَنَّ أَمْرَهَا يَهْمُكَ أَوْ سَيَشْغَلُ
بِالَّذِي، فَمَصِيرُهَا أَنْ تُتَّقَى فِي جَوْفِ قِطْعَةِ الْأَرْضِ الْجَرْدَاءِ
الْقَاحِلَةِ الَّتِي خَصَّصَهَا الصَّهَابِيُّهُ لِمُجْرِمِي الْحَرْبِ لِأَجْلِ أَنْ
يَدْفِنُوا فِيهَا الْمُقَاوِمِينَ فَلِسُطِينِيِّينَ كَانُوا أَمْ غَيْرَ فَلِسُطِينِيِّينَ؛
فَيَسَاوِمُوا عَلَيْهَا الْمُقَاوِمَةَ إِذَا مَا كَانَ فِي يَدِهَا أُسِيرًا صُهَيْبُونِيًّا،
فَلَقَدْ أَطْلَقَ الصَّهَابِيُّهُ عَلَى قِطْعَةِ الْأَرْضِ تِلْكَ اسْمَ (مَقْبَرَةُ
الْأَرْقَامِ)، فَوَدَاعًا وَرُودَ الْهَانِيَّةِ الْأَمِنَةِ الْمُطْمَنِّئَةِ وَالثَّرِيَّةِ، وَرُودَ
الَّتِي أَنْتَمَى أَنْ يَتَكَفَّلَ مَوْتِي بِجَعْلِهَا تَعْدِلُ عَنْ فِكْرَةِ التَّبَرُّؤِ

مِنِّي، تِلْكَ الْفِكْرَةَ الَّتِي جَاهَرَتْ بِتَرْدِيدِهَا خِلَالَ الْفَتْرَةِ الْمَاضِيَةِ
وَوَصَلْتُنِي هَا هُنَا فِي سِجْنِي وَمَحْبَسِي، فَلَا دَاعِيَ أَنْ تَتَحَمَّلِي
عِبَاءَ النَّبْرُؤِ مِنِّي لِأَنَّي عَدَوْتُ الْيَوْمَ مُجَرَّدَ رَفْمٍ بِلَا قِيمَةٍ أَوْ
تَأْنِيرٍ، مُجَرَّدَ رَقْمٍ فِي مَقْبَرَةِ الْأَرْقَامِ وَمُجَرَّدَ جُنَّةٍ هَامِدَةٍ لَا حَوْلَ
لَهَا وَلَا قُوَّةَ، الْجُنَّةُ الَّتِي قَدْ تَنَهَشَهَا الْكِلَابُ الضَّالَّةُ الَّتِي تَصُولُ
وَتَجُولُ فِي تِلْكَ الْأَرْضِ الْمُنْسِيَّةِ، تَمَامًا كَمَا يَصُولُ الصَّهَائِنَةُ
بِأَرْضِنَا الْمُبَارَكَةِ وَيَجُولُ الْأَوْسُلُويُونَ بِطِينِهَا الْمُبَاعِ وَفَلَسَهَا
الْمَنْهُوبُ، أَمَا أَنْتِ يَا صَاحِبَةَ الْمَالِ وَالجَاهِ فَقَدْ عَدَوْتِ وَمُنْذُ
الْيَوْمِ مِنْ أَصْحَابِ الْكِرَاسِي الْمُخْمَلِيَّةِ وَالْأَرْقَامِ الْبِنَكِيَّةِ ذَاتِ
الْقِيمَةِ الْعَالِيَةِ عُدْرًا إِنْ كُنْتِ قَدْ أَطَلْتِ فَهِنَّكَ بَعْضَ الْحَبْرِ
الْمُتَبَقِّي بِقَلَمِي، وَهُنَاكَ الْكَثِيرُ الْكَثِيرُ مِمَّا كُنْتِ أَوْدُ إِخْبَارِكِ بِهِ،
لَكِنِّي عَدَلْتُ عَنْهُ لِعِلْمِي بِمَا كُنْتِ تَصْنَعِيهِ بِرِسَائِلِي،
الَّتِي كُنْتِ أَرْسَلْتِ لَكَ طَوَالَ الْأَعْوَامِ الْمَاضِيَةِ،
تِلْكَ الرِّسَائِلُ الَّتِي قُمْتِ بِتَمْزِيْقِ جُلُّهَا دُونَ أَنْ تَفْتَحِيهَا،
أَوْ حَتَّى دُونَ أَنْ تَقْرَأِي حَرْفًا وَاحِدًا مِمَّا كُتِبَ لَكَ فِيهَا،
لَا تَعْضِي عَلَى الْإِطَالَةِ فَسَوْفَ أَضَعُ نُقْطَةً وَأَخْتَمُ الرِّسَالَةَ

وَأَكْسُرُ الْقَلَمَ يَا مِنْ كَسَرْتِ قَلْبِي وَمَزَّقْتِهِ فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ .
 مُلَاحَظَةٌ لِأَبْدٍ مِنْهَا يَا وَرُودَ: سَوْفَ تَقُومُ إِحْدَى الْأَخَوَاتِ
 بِتَسْلِيمِكَ مِفْتَاحَ الْمَنْزِلِ الْيَوْمَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَلَى أَنْ تَعْمَلَ عَلَى
 نَقْلِ مِلْكِيَّتِهِ لِاسْمِكَ خِلَالَ الْأَيَّامِ الْقَادِمَةِ، أَمَّا الْمَالُ فَسَتَجِدِينَ
 أَنَّ حِسَابَكَ الْبَنْكِي سَيُصَابُ بِالتَّخْمَةِ مِمَّا سَيُودَعُ فِيهِ مِنْ أَوْرَاقِ
 نَقْدِيَّةٍ . نُقْطَةٌ خَتَمَتْ بِهَا إِلَى الْأَبْدِ... نِقْطَةٌ شَاهَدَتْهَا عَيْنَايَ
 وَأَدْرَكْتُ عِنْدَهَا أَنَّهَا النِّهَايَةُ لِمَا كَانَ، وَالنِّهَايَةُ لِمَا سَيَكُونُ .
 لِذَلِكَ أُلْقَيْتِ الرِّسَالَةَ فِي جَوْفِ الْمُعْلَفِ وَلَمْ أَمْرِفْهَا كَمَا هِيَ
 عَادَتِي ثُمَّ أَوْمَأْتُ بِرَأْسِي لِصَدِيقِ الْوَدِيِّ وَابْنَتِهِ بِإِشَارَةٍ إِلَى أَنَّي
 قَدْ فَرَعْتُ مِنَ الْقِرَاءَةِ، عِنْدَهَا اقْتَرَبَ الرَّجُلُ وَابْنَتُهُ إِلَى السَّيَّارَةِ
 ثُمَّ رَكَبَا فِيهَا بِصَمْتٍ . . . صَمْتُ سَادَ الْمَكَانِ لِثَوَانٍ مَرَّتْ
 وَكَانَتْهَا الدَّهْرُ كُلُّهُ، ثُمَّ التَّقَتِ الرَّجُلُ نَحْوِي، وَقَالَ بِصَوْتِ حَزِينٍ
 وَعَيْنَيْنِ دَامِعَتَيْنِ: وَرُودَ . . . الْبَقَاءُ لِلَّهِ وَحَدَهُ، فَكُلُّ ابْنِ آدَمَ
 مَالُهُ إِلَى الْمَوْتِ؛ فَلَا تَحْزَنِي وَلَا تَجْزَعِي ، فَقَاطِعْتُهُ قَائِلَةً: مَاذَا
 تَقْصِدُ بِكَلَامِكَ هَذَا؟! أَلَمْ تُسَلِّمْنِي الرِّسَالَةَ لِأَنَّ مَنْزِلَنَا قَدْ هُدِمَ
 وَدُمِّرَ؟! فَرَدَّ عَلَيَّ قَائِلًا: لَا يَا وَرُودَ، لَقَدْ أَوْصَلْتُ لَكَ الرِّسَالَةَ

بَعْدَ أَنْ وَرَدَنِي خَبْرًا مُؤَكَّدًا مَفَادُهُ أَنَّ وَالِدَكَ قَدْ اسْتَشْهَدَ فَجَرَ
 الْيَوْمِ؛ نَتِيجَةَ التَّعْذِيبِ الَّذِي تَعَرَّضَ لَهُ فِي أَفْيَةِ التَّحْقِيقِ،
 وَتَحْتَ سَيَاطِ الْجَلَادِينَ الصَّهَابِيَّةِ، الَّذِينَ كَانُوا قَدْ افْتَادُوا وَالِدَكَ
 قَبْلَ عِدَّةِ أَيَّامٍ مِنْ زِنْرَانْتِهِ إِلَى قَبْرِ التَّحْقِيقِ؛ بَعْدَمَا وَصَلْتَ
 لِلْمُحَقِّقِينَ الصَّهَابِيَّةُ مَعْلُومَاتٌ أَمْنِيَّةٌ مَفَادُهَا أَنَّ وَالِدَكَ هُوَ الْعَقْلُ
 الْمُدَبَّرُ لِسُلْسِلَةِ مِنَ الْعَمَلِيَّاتِ الْجِهَادِيَّةِ، وَأَنَّهُ تَمَكَّنَ مِنْ إِدَارَتِهَا
 وَالتَّخْطِيطِ لَهَا عَلَى الرَّغْمِ مِنْ وُجُودِهِ خَلْفَ أَسْوَارِ السَّجْنِ
 وَمُعْتَقَلِهِ، الَّذِي مَكَثَ فِيهِ أَيَّامًا وَأَعْوَامًا كَثِيرَةً، وَلَسْتُ قَادِرًا عَلَى
 تَذْكَرِ عِدَدِ تِلْكَ الْعَمَلِيَّاتِ الَّتِي نُفِّذْتَ عَلَى يَدِ عِدَدٍ مِنَ
 الْمُجَاهِدِينَ، الَّذِينَ قَدْ تَمَكَّنَ وَالِدَكَ مِنْ تَجْنِيدِهِمْ لَهَا،
 عِنْدَمَا كَانُوا أُسْرَى وَمُعْتَقَلِينَ مَعَهُ فِي نَفْسِ السَّجْنِ الَّذِي يَقَعُ
 فِيهِ، فَمَا أَنْ تَحَرَّرَ هَؤُلَاءِ الْمُجَاهِدِينَ مِنَ الْأَسْرِ، حَتَّى قَامَ
 وَالِدَكَ حَسَبَ ادِّعَاءِ الصَّهَابِيَّةِ بِتَرْوِيدِهِمْ بِالْمَالِ وَالسَّلَاحِ،
 بَعْدَ أَنْ كَانَ قَدْ زَوَّدَهُمْ بِالْخَطِّ الْمُنَاسِبَةِ
 لِتَنْفِذِ تِلْكَ الْعَمَلِيَّاتِ الَّتِي نُفِّذْتَ بِنَجَاحٍ وَاقْتِدَارٍ.
 آسِفٌ أَنَا يَا وَرُودَ، فَمَا لَكَ أَنْتِ وَعَمَلِيَّاتِ الْمُقَاوَمَةِ

وَعَمَلِ الْمُقَامِيمِينَ؟! فَهِيَ قَدْ قُطِعَ آخِرُ عَمَلٍ كَانَ
يُرْبِطُكَ بِهَا، فَالْبَقَاءُ لِلَّهِ وَالرَّحْمَةُ وَالْجَنَّةُ لَوَالِدِكَ الشَّهِيدِ
بِإِذْنِ اللَّهِ مَوْلَى الصَّادِقِينَ وَالثَّابِتِينَ عَلَى الْحَقِّ.
وَرُودٌ، تُرَجِّلِي مِنَ السَّيَّارَةِ، وَأُخْبِرِي وَالِدَتِكَ وَجِدَّتِكَ حَتَّى
تَذْهَبَ سَوِيًّا إِلَى مَنْزِلِكُمُ الْجَدِيدِ، وَسَنَعْمَلُ عَلَى نَقْلِ مَلَكِيَّتِهِ لَكَ
حَسَبَ وَصِيَّةِ وَالِدِكَ وَأُوامِرِهِ بَعْدَ أَنْ نُنْتَهِيَ مِنْ مَرَامِسِ اسْتِقْبَالِ
الْمُهَنْتَيْنِ بِاسْتِشْهَادِهِ، وَلَا تَحْمِلِي هَمًّا فَتُنَاكَ الْمَرَامِسُ لَنْ تَطُولَ
أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ سَتَمُضِي بِحَالِهَا، وَأَنْتِ سَتَمُضِينَ بِحَالِكَ
وَأُسْرَتِكَ بَعِيدًا عَنْ مَنْ مَاتَ فَأَرَاكَ وَاسْتَرَاحَ بَعْدَمَا أُنْعَبَ
الْمُحْتَلِّ وَالْمُنْحَلِّ كَثِيرًا كَثِيرًا.

وَسَطَ حَالَةٍ مِنَ الذُّهُولِ وَالصَّدْمَةِ مِمَّا قَالَهُ لِي، تُرَجَّلْتُ مِنْ
السَّيَّارَةِ، وَعَدْتُ أَنْزَاجِي إِلَى حَيْثُ رُكَّامِ الْمَنْزِلِ الْمُدْمَرِ وَمَا إِنْ
اقْتَرَبْتُ مِنْهُ، حَتَّى سَمِعْتُ صَوْتَ جَدَّتِي وَهِيَ تَصْدَحُ بِالرَّغَارِيدِ
فَرَحًا وَحُزْنًا فِي أَنْ وَاحِدٍ عَلَى اسْتِشْهَادِ ابْنِهَا، فَصَدِيقُ وَالِدِي
قَدْ بَادَرَ بِإِبْلَاغِهَا بِنَبَأِ اسْتِشْهَادِ وَالِدِي أَنْتَاءَ انْشِعَالِي بِقِرَاءَةِ

الرِّسَالَةِ، رَدَّدَ النَّاسُ الْخَبَرَ فَانْتَشَرَ كَالنَّارِ فِي الْهَشِيمِ، لِذَلِكَ
وَجَدْتُ الْعَدِيدَ مِنَ النَّسْوَةِ وَقَدْ أَحْطَنَ بِوَالِدَتِي الَّتِي كَانَتْ تَبْكِي
حُزْنًا وَتَنِينُ أَلْمًا عَلَى فِرَاقِ رُوحِ زَوْجِهَا الَّتِي صَعَدَتْ إِلَى
السَّمَاءِ مُفَارِقَةَ الْجَسَدِ ذَلِكَ الْجَسَدُ الَّذِي فَارَقَهَا صَاحِبُهُ
كَثِيرًا قَبْلَ عِشْرِينَ عَامًا وَأَكْثَرَ، وَهِيَ هِيَ الْيَوْمَ يُفَارِقُهَا مَرَّةً أُخْرَى
وَأَلَى الْأَبَدِ شَهِيدًا حَيًّا بَعْدَمَا كَانَ قَدْ فَارَقَهَا شَهِيدًا أُسِيرًا.
عَجَزْتُ عَنِ إِخْبَارِهِمَا بِمَا حَدَثَ مَعِي قَبْلَ دَقَائِقَ مَعْدُودَةٍ
مَعَ صَدِيقِ وَالِدِي وَابْنَتِهِ وَرِسَالَةِ وَالِدِي الَّتِي أَوْصَلَهَا إِلَيَّ،
لِذَلِكَ أَتَرْتُ الصَّمْتَ وَالْانْجِمَادَ بِجَانِبِ وَالِدَتِي فَوْقَ الرُّكَامِ،
دُونَ أَنْ أَبْكِيَ أَوْ أَرْعِدَ أَوْ حَتَّى أَحْزَنَ،
مِمَّا حَوْلَنِي إِلَى جُزْءٍ لَا يَتَجَرَّأُ مِنْ ذَلِكَ الرُّكَامِ الْمُدْمَرِ.

الفصل الرابع

أنا سأعدُّ وأسعدُّ

ما إن أتمُّوا مراسمَ استقبالِ المهنَّينَ باستشهادِ والدي،
والمُعزِّينَ بهدمِ المنزلِ، حتَّى تمكَّنتُ وبصُعوبةٍ بالغةٍ من إقناعِ
والدتي وجَدَّتي للانتقالِ إلى منزلنا الجديد، فقد أصرَّتَا على
استقبالِ المهنَّينَ والمُعزِّينَ داخلَ خيمةٍ لا أدري كيف نُصِبَتْ
إلى جوارِ الرُّكامِ أو حتَّى الذي نَصَبها بِتلكِ السرعةِ، وعندما
سألْتُ قالوا أنَّ رجالَ اللهِ هُمَ مَنْ بَنَوْها، وبِكَافَّةِ الاحتياجاتِ
جَهَّزُوها، وبراياتِ التَّوحيدِ الخَضراءِ زَيَّنوها، وكأنَّها عروسٌ قد
ازدانتُ لعريسها، وَعِندها أدركتُ أنَّ الذينَ قاموا بِنصبِ الخيمةِ
وتأهيلِ المكانِ الذي توافَدَ إليه الآلافُ منَ المهنَّينَ والمُعزِّينَ
هُمَ رجالُ الحَرَكَةِ وكتائبُها، وعلى الرَّغمِ ممَّا فعلوه فأنا ما زِلْتُ
أُمنُّهُمُ وأُبغِضُهُمُ.

بل وإِنِّي مِنْ شِدَّةِ سَخَطِي عَلَيْهِمْ، كُنْتُ أَعْدُ النَّوَانِي
 وَالذَّفَائِقَ وَالسَّاعَاتِ، حَتَّى تَمْضِي سَرِيعًا لِيَنْتَهِيَ هَذَا الْكَرْنَفَالُ،
 لَكِي أَغَادِرَ هَذَا الرُّكَامَ إِلَى مَسْكِنِ الْجَدِيدِ،
 فَأَبْدَأُ حَيَاتِي الْجَدِيدَةَ الَّتِي تَخْلُو مِنْهُمْ بِكُلِّ تَأْكِيدٍ، فَأَنَا مَا عُدْتُ
 قَادِرَةً عَلَى تَحْمُلِ وُجُوهِهِمْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فِي حَيَاتِي.
 مَضَتْ الْأَيَّامُ ثَقِيلَةً قَبْلَ أَنْ نُنْتَقَلَ لِمَسْكِنِنَا وَقَبْلَ أَنْ يَنْتَقَلَ
 لِي سِنْدُ مَلِكِيَّتِهِ، وَعِنْدَهَا فَقَطُ شَعِرْتُ أَنَّي قَدْ تَحَرَّرْتُ مِنْ قَيْدِ
 الْفَقْرِ وَالْعَوَزِ، وَمَا إِنْ بَدَأَ تَدْفُقُ الْأَمْوَالِ إِلَى حِسَابِي الْبَنَكِيِّ،
 حَتَّى زَادَ هَذَا الشُّعُورُ وَازْدَدْتُ طَمَآنِينَةً مِمَّا جَعَلَنِي أَعِيدُ تَرْتِيبَ
 أَوْلِيَاتِي مِنْ جَدِيدٍ، فَقُمْتُ بِالتَّخْطِيطِ وَالْإِعْدَادِ وَالِاسْتِعْدَادِ
 لِحَيَاتِي الْجَدِيدَةَ الَّتِي بَدَأْتُ أَخْطُو نَحْوَهَا أَوْلَى خَطَوَاتِي، وَهُنَا
 قَرَّرْتُ أَلَّا أَذْهَبَ لِلْجَامِعَةِ هَذَا الْعَامِ، وَكَرَّسْتُ وَقْتِي لِلْحَصُولِ
 عَلَى رُخْصَةِ قِيَادَةِ لِسْرَاءِ سَيَّارَةٍ تَنْتَاسِبُ مَعَ وَضْعِي الْجَدِيدِ،
 وَهَكَذَا تَمَكَّنْتُ خِلَالَ فِتْرَةٍ قَصِيرَةٍ مِنَ الْوَصُولِ إِلَى ذَلِكَ الْهَدَفِ
 بَرِغْمِ مُعَارَضَةِ أُمِّي، لَكِنَّهَا رَضَخَتْ لِإِرَادَتِي فِي نِهَائَةِ الْأَمْرِ،
 فَوَالِدَتِي بَدَأَتْ تُدْرِكُ وَبِشْكَلٍ سَرِيعٍ أَنَّنِي مَا عُدْتُ الطِّفْلَةَ

الخاضعة والخانعة، فهي بائتة ترى بأُمِّ عَيْنَيْهَا كَيْفَ أَصْبَحْتُ
 لَا أَقِيمُ وَرْثًا وَلَا احْتِرَامًا لِمَنْ أَتَعَامَلُ مَعَهُمْ مِنَ النَّاسِ، سِوَاءَ
 أَكُنَا مِنْ أَقَارِبِنَا أَمْ مِنَ الْغُرَبَاءِ عَنَّا!، مِمَّا جَعَلَهَا تَرَى مَدَى
 التَّغْيِيرِ الْجَذْرِي الَّذِي طَرَى عَلَى شَخْصِيَّتِي وَسُلُوكِي مُنْذُ أَنْ
 انْتَقَلْنَا لِلْعَيْشِ فِي مَنْزِلِنَا الْجَدِيدِ، فَقَدْ قَالَتْ لِي ذَاتَ مَرَّةٍ أَتْنِي
 أَصْبَحْتُ شَخْصِيَّةً عِدَائِيَّةً تَسْعَى لِلسَّيْطَرَةِ عَلَى الْآخِرِينَ، وَأَتْنِي
 غَدَوْتُ مِنَ الْمُسْتَأْسِدِينَ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ مِنَ الْهُجُومِ وَسِيلَةً
 وَحِيدَةً لِلدَّفَاعِ، وَقَرَّرْتُ وَالدَّتِي الْإِنْعِرَالَ وَالْإِنْكَفَاءَ عَلَى ذَاتِهَا؛
 وَذَلِكَ هُرُوبًا مِنِّي وَمِنْ أَحْزَانِهَا إِلَى الصَّمْتِ وَالسُّكُونِ؛ مِمَّا
 جَعَلَهَا شَارِدَةً الْفِكْرِ وَالذَّهْنِ كَمَا الْبُلْهَاءِ عَلَى الدَّوَامِ، وَتَعَزَّرَ
 لَدَيْهَا هَذَا السُّلُوكُ بِشَكْلِ كَبِيرٍ وَمَرَضِيٍّ بَعْدَ وَفَاةِ جَدَّتِي
 الْمُفَاجِئِ حُزْنًا وَأَلْمًا عَلَى فِرَاقِهَا لَوْلِدِهَا، وَلِدَارِهَا وَلِي، فَهُنَا
 حَاوَلْتُ جَاهِدَةً وَمِرَارًا إِخْرَاجَ وَالدَّتِي مِنْ حَالَتِهَا
 حَالَةَ الْإِنْكَفَاءِ_ تِلْكَ، إِلَّا أَنَّهَا عَمِلَتْ عَلَى صَدِّي وَكَانَ
 صَدُّهَا وَانْكَافَاؤُهَا يَزِيدُ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ؛ وَكَأَنَّهَا تُحَمِّلَنِي الْمُسْؤُولِيَّةَ
 عَنِ اسْتِشْهَادِ وَالدِّي وَمَوْتِ جَدَّتِي، فَبَدَأْتُ أَرَى ذَلِكَ عِبْرَ

نَظَرَاتِهَا الْحَادَّةِ وَالْمُزْعِجَةِ وَالَّتِي أَصْبَحَتْ تُزْعِجُنِي وَتَقْضُ
مَضْجَعِي.

فكففت عن محاولات السعي لاسترضائها وطلب ودّها
ورضاها، وقررت أن أتجاهلها وكأنها لم تكن، حتى انطلقت
إلى رحاب الدنيا التي فتحت ذراعيها لي بعدما فتحت لها
حقيبة يدي المليئة بالمال، وهكذا بدأت أمضي جُلّ وقتي
متجولة في الأسواق والمولات التجارية لشراء كل ما تتوق له
نفسى من ملابس وحلي متناسية أحرزان الآخرين وتوهانهم
وأوهمهم.

أمضيتُ عامًا كاملًا على تلك الحال فاقتربَ عندها موعدُ
التحاقى بالمقاعدِ الدّراسيةِ في الجامعة، وموعدُ الانفلاتِ
الجامعي، حيثُ عزمتُ أمري على إنشاءِ صداقاتٍ وعلاقاتٍ
مع أهلِ هذه الأرضِ، ومُحبيّ الحياةِ والسّلامِ تمامًا بعكسِ ما
قمتُ به في عامي الدّراسيِّ الأوّل، حيثُ كُنْتُ قد ابتعدتُ عن
أهلِ الأرضِ والسّماءِ، ومعاتيةِ حُبِّ الوطنِ والمقاومةِ.

فَتَحَّتْ الْجَامِعَةُ أَبْوَابَهَا فَوَصَلْتُ إِلَيْهَا وَأَنَا أُرْتَدِي أَجْمَلَ
 ثِيَابِي وَأَتَمْنَهَا وَأَفُودُ سَيَّارَةَ دَفْعِ رُبَاعِي ذَهَبِيَّةَ اللَّوْنِ وَالْقِيَمَةَ، إِلَّا
 أَنَّ أَمْرًا وَاحِدًا أُرْعَجَنِي وَكَادَ يُذْهِبُ فَرْحَتِي بِنَفْسِي وَاعْتِزَّازِي
 بِهَا، وَهُوَ عَدَمُ قُدْرَتِي عَلَى نَزْعِ حِجَابِ رَأْسِي الَّذِي كَانَ يَحْجُبُ
 تَحْتَهُ جَمَالَ شِعْرِي الذَّهَبِيِّ اللَّوْنِ، فَعَلَى الرُّغْمِ مِنْ رَغْبَتِي
 الْمُحِلَّةِ لِلتَّخَلُّصِ مِنْهُ مِنَ الْيَوْمِ الْأَوَّلِ الَّذِي أُجْبِرْتُ عَلَى ارْتِدَائِهِ
 فِيهِ قَبْلَ نَحْوِ عَشْرَةِ أَعْوَامٍ إِلَّا أَنَّنِي الْيَوْمَ لَمْ أَتَجَرَّأْ عَلَى فِعْلِ
 ذَلِكَ مَعَ عَدَمِ وُجُودِ أَحَدٍ يَسْتَطِيعُ مَنَعِي مِنْ ذَلِكَ، إِلَّا أَنَّنِي
 عَاجِزَةٌ لِأَسْبَابٍ أَعْجَزُ عَنْ فَهْمِهَا أَوْ حَتَّى تَفْسِيرِهَا وَهِيَ نَفْسُ
 تِلْكَ الْأَسْبَابِ الَّتِي مَنَعْتَنِي مِنَ التَّوَقُّفِ عَنْ أَدَاءِ الْعِبَادَاتِ
 وَالصَّلَاةِ.... مَا لَنَا وَمَا لِلصَّلَاةِ وَالْعِبَادَاتِ!! وَلِنَعُدَّ إِلَى الْعِبَادِ
 الَّذِينَ التَّقِيْتُ بِهِمْ فِي الْحَرَمِ الْجَامِعِيِّ، فَالشَّبِيهُ يُجَذِبُ شَبِيهَهُ
 وَالطُّيُورُ عَلَى أَشْكَالِهَا تَقَعُ وَمَعَ بَعْضِهَا الْبَعْضُ تُحَلِّقُ، لَقَدْ
 تَعَلَّقْتُ وَحَلَقْتُ مَعَ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الطَّالِبَاتِ اللَّوَاتِي تَلَفَّقَنِي
 وَكَأَنَّهِنَّ كُنَّ بَانْتِظَارِي، فَهَذِهِ ابْنَةٌ وَزِيرٍ أَوْسُلُوِي وَتِلْكَ ابْنَةٌ لَصِّ
 سُلْطُوِي وَحَرَكَي، أَمَّا هُوَ لِأَنَّ فَهِنَّ بَنَاتٌ مِنْ نَهْبُوا الْفِلْسَ وَيَاعُوا

الطَّيْنِ بَعْدَ أَنْ دَاسُوا بِأَحْذِيَّتِهِمْ جَمَاجِمَ وَشُهَدَاءِ فِلَسْطِينَ حَالَهُمْ
 كَحَالِ الْأَوْسُلُوبِيِّينَ وَالسَّلْطُوبِيِّينَ وَالنُّوَارِ وَالْمُقَاوِمِينَ، كُلُّهُمْ وَجُوهٌ
 مُتَعَدِّدَةٌ لِعَقِيدَةٍ فَاسِدَةٍ وَاحِدَةٍ. كُنْتُ أَعْلَمُ مَنْ هُنَّ جَيِّدًا وَأَعْلَمُ مَنْ
 أَنَا، أَنَا الَّتِي اسْتَعَدَّتْ وَأَعَدَّتْ نَفْسَهَا لِأَجْلِ أَنْ تَعْدُوَ جُزْءًا لَا
 يَتَجَرَّأُ مِنْهُنَّ، جُزْءًا قَابِلًا لِلانْدِمَاجِ وَالتَّمَاهِي مَعَهُنَّ، وَمَعَ
 مُحِيطِهِنَّ بِبُيْسَرٍ وَبِسَهْوَةٍ، عَلَى عَكْسِ حَالَةِ الْوِلَادَةِ وَالْمَخَاضِ
 الْعَسِيرِينَ الَّذِينَ خَضَتْهُمَا أَثْنَاءَ انْسِلَاحِي عَنْ مَا كَانَ وَمَا
 كُنْتُ عَلَيْهِ؛ فَالْحَيَاةُ قَصِيرَةٌ وَالْحَيُّ عِنْدِي وَعِنْدَ الْأَذْكَيَاءِ أَبْقَى
 وَأَوْلَى مِنَ الْمَيِّتِ، لِذَلِكَ وَدَاعًا لِمَنْ مَاتَ وَالنَّسِيَانِ
 لِكُلِّ مَا فَاتَ وَمَضَى، وَأَهْلًا وَأَلْفُ أَهْلًا بِدُنْيَايَ الْجَدِيدَةِ،
 دُنْيَا الْمَالِ وَالتَّرْفِ وَالتَّطَبُّقِ الْمُخْمَلِيَّةِ، وَسُحْقًا
 كُلَّ السُّحْقِ لِدُنْيَا الْفَقْرِ وَالْعَوْرِ وَالدَّمَاءِ السَّخِيَّةِ.
 مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْفَتَيَاتِ اللَّامُبَالِيَاتِ اللَّوَاتِي لَا يَجْمَعُهُنَّ سِوَى
 حُبِّ الدُّنْيَا وَالْإِقْبَالِ عَلَيْهَا وَالتَّزْهِدِ بِالْآخِرَةِ وَتَنَاسِيهَا، لِذَلِكَ فَأَنَا
 أَقْبَلْتُ عَلَيْهِنَّ مُزْدَانَةً بِزِينَةِ الدُّنْيَا وَبِهَرَجَتِهَا، الْمُتَمَثِّلَةَ بِمَا أُرْتَدِيهِ
 مِنْ ثِيَابٍ فَاحِرَةٍ، وَمَا أَمْتَطِيهِ مِنْ سَيَارَةِ جَيْبِ فَارِهَةٍ، وَقَدْ فَتَحَنْ

لي أذرعهنَّ بالترحابِ بِمُنْتَهَى (الوَدُّ الظَّاهِرُ)، مِمَّا مَكَّنَنِي مِنْ
أَنْ أَقْضِي بِصُحْبَتِهِنَّ وَقْتًا فَارِغَ الْمَضْمُونِ وَالْقِيَمَةِ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ
وَقْتًا مُسْلِيًا وَمُمْتَعًا، حَيْثُ مَضَى الْعَامُ الدِّرَاسِيَّ سَرِيْعًا، وَلَمْ
تَكُنْ عِلَاقَتِي الْوَطِيْدَةَ بِهِنَّ مَحْصُورَةً حَلْفَ أَسْوَارِ الْجَامِعَةِ
وَمُحِيطَ حَرَمِهَا وَقِيُودِهِ، بَلْ كُنَّا نَقْضِي أَيَّامَنَا الدِّرَاسِيَّةَ مُتَنَقِّلَاتٍ
بَيْنَ الْمَقَاهِي وَالْمَطَاعِمِ وَالْحَفَلَاتِ، الَّتِي كَانَتْ تُقَامُ بِجُلَّهَا بِلا
مُنَاسِبَةٍ حَقِيقِيَّةٍ أَوْ سَبَبٍ، سِوَى الْمَرَحِ عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهِ؛
وَكَانَ مَالُ ذَلِكَ خَسَارَتِي لِمَا كُنْتُ أَتَمَيِّزُ بِهِ مِنْ نَفْوُقِ دِرَاسِي،
وَوَصَلْتُ بِي الْحَالَ إِلَى أَنْ حَمَلْتُ بَعْضًا مِنَ الْمَوَادِّ الدِّرَاسِيَّةِ،
فَرَسَبْتُ، وَهَذَا بِالطَّبَعِ لَمْ يَعْزِ لِي الْكَثِيرُ؛ فَأَنَا أَصْبَحْتُ أَرَى
الدِّرَاسَةَ الْجَامِعِيَّةَ أَمْرًا لَا فَائِدَةَ مِنْهُ، بَلْ هُوَ مَضْيَعَةٌ لِلْوَقْتِ
وَالْجُهْدِ، وَلَوْلَا أَنَّ الْجَامِعَةَ غَدَتْ مَكَانًا
لِلتَّعَارُفِ وَاللِّقَاءِ لَكُنْتُ قَدْ تَرَكْتُهَا مُنْذُ بَدَايَةِ هَذَا الْعَامِ.
انْقَضَى عَامُ الْفَشْلِ الدِّرَاسِي وَالنَّجَاحِ الْحَيَاتِيَّ سَرِيْعًا لَكِنَّهُ
كَانَ أَبْطَأَ بِكَثِيرٍ مِنْ سُرْعَةِ طَلَقَاتِ الرِّصَاصِ الَّتِي أَدْمَتْنِي
وَكَادَتْ تُودِي بِحَيَاتِي، لَوْلَا لُطْفُ اللَّهِ وَقَدْرُهُ.

حَدَّثَ ذَلِكَ عِنْدَمَا كُنْتُ أَقُودُ سَيَّارَتِي عَائِدَةً إِلَى الْقَرْيَةِ
 حَيْثُ أَقْضُنُ بَعْدَ أَنْ شَارَكْتُ فِي إِحْدَى الْحَفَلَاتِ الَّتِي اعْتَدْتُ
 عَلَى حُضُورِهَا مِنْ أَنْ لَأْخِرٍ فِي الْمَدِينَةِ، وَمَا إِنْ اقْتَرَبْتُ مِنْ
 مُفْتَرَقِ الطَّرِيقِ الْمُؤَدِّي إِلَى الْقَرْيَةِ حَتَّى انْهَمَرَتْ طَلَقَاتُ
 الرِّصَاصِ نَحْوِي كَمَا الْمَطَرِ، فَفَقَدْتُ حِينَهَا وَعَيْي
 وَسَيْطَرَتِي عَلَى السَّيَّارَةِ قَبْلَ أَنْ أُدْرِكَ مَا الَّذِي حَلَّ بِي.
 بَعْدَ عِدَّةِ أَسَابِيعٍ أَمْضَيْتُهَا فِي مَشْفَى عَسْكَرِي صُهَيْوْنِي،
 اسْتَرْجَعْتُ وَعَيْي وَاسْتَيْقَظْتُ مِنْ غَيْبُوتِي، لِأَجْدِ نَفْسِي وَقَدْ
 كَبَلْتُ يَدَايَ وَقَدَمَايَ بِسِلَاسِلِ حَدِيدِيَّةٍ وَأَغْلَالٍ مُتَبَتَّةٍ بِالسَّرِيرِ
 الَّذِي كُنْتُ أَرْقُدُ عَلَيْهِ، كَانُوا كَمَا الْغُرَبَانَ يُحُومُونَ حَوْلِي،
 يُودُونَ رَقِصَةَ الضَّبَّاعِ الْجَائِعَةِ الْغَادِرَةِ، كُلُّهُمْ صَهَائِنَةٌ وَكُلُّهُمْ
 حَاقِدُونَ وَنَاقِمُونَ عَلَى كُلِّ مَا هُوَ فِلَسْطِينِي، وَهَذَا بِالطَّبْعِ مَا
 كَانَ جَلِيًّا وَظَاهِرًا عَبْرَ نَظَرَاتِ عُيُونِهِمِ الَّتِي كَانَتْ تَقْطُرُ سَمًّا
 مَجْبُولًا بِالْحِقْدِ وَالْمَكْرِ، بَعْدَ أَنْ تَبَادَلُوا الْحَدِيثَ فِيمَا بَيْنَهُمْ بِاللُّغَةِ
 الْعِبْرِيَّةِ الْمَقِيَّتَةِ وَكَانُوا كَثْرًا، فَهَذَا طَبِيبٌ وَتِلْكَ مُمْرِضَةٌ وَهَؤُلَاءِ
 الْجِرْدَانِ جُنُودٌ وَضَبَّاطٌ، كُلُّهُمْ بِالطَّبْعِ مُدَجَّجُونَ بِالسَّلَاحِ وَكَأَنَّهُمْ

في ساحة حربٍ حَقِيقِيَّة، لَمْ أَكُنْ قَادِرَةً عَلَى التَّحَدُّثِ أَوْ فَهْمِ مَا
يَقُولُونَ، حَتَّى سَمِعْتُ أَحَدَهُمْ يُخَاطِبُنِي بِلُغَةٍ عَرَبِيَّةٍ رَكِيكَةٍ وَهُوَ
يَقُولُ: (بَدَّكَ تَدْبَحِي يَهُودُ؟؟؟! بَدَّكَ تَرُوحِي عَلَى الْجَنَّةِ؟؟؟!
بَدَّكَ تَدْهَسِي جُنُودَ يَا إِرْهَابِيَّة؟؟؟! وَأَرَدَفَ آخِرَ قَائِلًا: لَيْشَ مَا
مُتَّ يَا مُخْرَبِيَّة؟! بَدَّكَ تَدْهَسِي جُنُودَ عِلْشَانَ أَبُوكِي مَاتَ؟؟؟!).
مَكَثْتُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ نَحْوَ شَهْرَيْنِ، تَمَّ نَقْلِي خِلَالَهُمَا
إِلَى مَرْكَزِ النَّحْقِيقِ فِي مَدِينَةِ الْقُدْسِ، حَيْثُ وُجِّهَ لِي مِنَ
الْمُحَقِّقِينَ الصَّهَابِيَّةِ نَهْمَةٌ مُحَاوَلَةِ دَهْسِ جُنُودِ صَهَابِيَّةٍ،
كَانُوا يَتَقَفُونَ بِجَوَارِ مُفْتَرِقِ الطَّرِيقِ الَّذِي أَرَدْتُ
اجْتِيَازَهُ لِلْوُصُولِ إِلَى حَيْثُ أَسْكُنُ وَحَيْثُ قَرِيبَتِي.
نَفَيْتُ التُّهْمَةَ الَّتِي وُجِّهَتْ لِي، وَقُلْتُ لَهُمْ مِرَارًا أَنَا ابْنَةٌ دُنْيَا
وَابْنَةُ حَيَاةٍ وَمَرَحٍ، لَا ابْنَةَ آخِرَةٍ وَلَا ابْنَةَ شَهَادَةٍ وَمَوْتٍ، وَلَسْتُ
ابْنَةَ أَبِي، إِلَّا أَنَّهُمْ ضَرَبُوا بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ عَرَضَ الْحَائِطِ تَمَامًا،
وَكَانُوا يَصْفَعُونَنِي بِأَيْدِيهِمْ تَارَةً، وَيَرْكُلُونِي بِأَحْذِيَّتِهِمُ النَّجِسَةَ تَارَةً
أُخْرَى، وَأَصْرَرُوا عَلَى اتِّهَامِي بِتِلْكَ التُّهْمَةِ.

وأنا أقسم لكنّ بأني منها براء، بل وأقسم بأني ضدّ كلِّ
 مَنْ يَقُومُ بهذه الأعمالِ التخريبيةِ والإجرامية... لم يُصدِّقُوني،
 وإلى السَّجْنِ رُغِمَ جراحي اقتادوني، ثمّ للزَّنْزَانَةِ التي نَمَّ الرَّجْحُ
 بِكُنَّ بِهَا أَلْفُونِي، تِلْكَ حِكَايَتِي باختصارٍ شَدِيدٍ،
 أَمَا اسْمِي فَسَبَقَ وَقُلْتُهُ لَكُنَّ وَهُوَ وُرُودٌ، وَلَكِنْ اعْلَمَنَّ
 أَنَّ الْحِكَايَةَ لَمْ تَكُنْ سِوَى فَقَطِ الْبَدَايَةِ، أَمَا النِّهَايَةَ
 فَلَنْ تَكُونَ بِأَيِّ حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ كَمَا الْبَدَايَةُ أَبَدًا أَبَدًا.
 أَلَمْ أَقُلْ فِي بَدَايَةِ حَدِيثِي أَنَّ كُلَّ ابْنِ آدَمَ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ
 لِأَجْلِهِ؟ نَعَمْ، قُلْتُ ذَلِكَ، فَمِنَ الْوَاضِحِ وَالْجَلِيِّ الْآنَ أَنَّنِي لَمْ
 أُخْلَقْ لَكِي أَعِيشَ كَمَا الْفَرَاشَاتِ وَالْوُرُودِ حَيَاةً هَادِنَةً وَهَانِيَةً بِلا
 هَمٍّ وَلَا غَمٍّ وَلَا حُزْنَ وَلَا دَمَ كَمَا كُنْتُ أَظُنُّ وَاهِمَةً وَحَالِمَةً،
 وَالْحَقِيقَةُ هِيَ أَنَّنِي خُلِقْتُ لِأَمُوتَ.... نَعَمْ لِأَمُوتَ، وَهَا أَنَا قَدْ
 مِتُّ الْيَوْمَ، بَعْدَ أَنْ سُجِنْتُ وَاعْتُقِلْتُ، وَمِتُّ عِنْدَمَا حَقَّقَ
 الصَّهَابِينَةُ مَعِي وَعَذَّبُونِي رُغِمَ جِرَاحِي وَآلَامِي، وَمِتُّ بَعْدَ أَنْ
 انْتَهَمُونِي بِتُهْمَةٍ لَا عِلَاقَةَ لِي بِهَا وَمِتُّ بَعْدَ أَنْ حَكَمَ عَلَيَّ
 الْقَضَاءُ الصَّهَابِينَةُ الْمُحْتَلِّينَ بِقُوَّةِ سِلَاحِ جَيْشِهِمُ الْإِرْهَابِي

بالسِّجْنِ لِمُدَّةِ أَرْبَعَةِ عَشَرَ عَامًا بِلَا سَبَبٍ وَلَا ذَنْبٍ سِوَى أَنَّنِي
فِلَسْطِينِيَّةٌ، لِذَلِكَ سَوَفَ أُبْعَثُ مِنْ جَدِيدٍ كَمَا تُبْعَثُ الْعَنْقَاوَاتُ
مِنْ رَمَادِ الْأَسْطُورَةِ، فَأَنَا ابْنَةُ وَالِدِي الْمُجَاهِدِ الْأَسْطُورَةِ؛ لِذَلِكَ
عَدَّتْ الْأَسْطُورَةُ الْيَوْمَ أَصْدَقُ مِنْ وَهْمِي، وَهَمِي الْمَرَضِيُّ الَّذِي
أَفْعَدَنِي بَعْدَ أَنْ أَعْمَانِي عَنْ رُؤْيَا الْحَقِيقَةِ، فَأَنَا شَيْئٌ أَمْ أُبَيِّتُ
وَرَدَةً لَا رَائِحَةَ تَفُوحُ مِنْهَا سِوَى رَائِحَةِ الدَّمِّ! تِلْكَ يَا أَخَوَاتِي
الْأَسِيرَاتِ حِكَايَتِي بِكُلِّ تَجَرُّدٍ، بِلَا مَسَاحِيقَ تَجْمِيلٍ وَبِلَا أَفْنَعَةٍ
تَحْجُبُ حَقِيقَةَ مَنْ يَرْتَدِّيهَا، فَمَا هِيَ حِكَايَتُكُنَّ؟ وَقَبْلَ ذَلِكَ مَنْ
أَنْتُنَّ يَا مَنْ تَقْبَعْنَ خَلْفَ أُسْوَارِ سُجُونِ بَنِي صُهَيْوْنَ؟.

الفصل الخامس

عَمِيلٌ مَعَ سَبِقِ الْإِصْرَارِ وَالتَّرَصُّدِ

اسمحن لي يا أخواتي الأسيرات، أن أكونَ أوَّلَ المُتحدِّثاتِ
حتَّى أعرِّفَ الأختَ وُروِدَ القادِمةَ الجديدةَ علينا من دُنيا
الأحياءِ - كما سبقَ وأن قدَّمتُ نفسي لَكُنَّ - عندما تمَّ النُّجُوبُ بي
في هذه الزَّنازةِ قبلَ عامٍ وأكثر، فأنا يا أخواتي الأسيراتِ
الحرائرِ، أمثلُ التَّقِيضِ بِشكْلِ مُطلقٍ لأختنا وُروِدَ وحكايتها
التي لم تكتملَ بَعْدُ ولم يُسدَلِ السَّنارُ على عَرسِها الأخيرِ،
الذي سيكونُ حَسَبَ ما فهمتُ من حَديثِها انقِلابًا شامِلًا في
سُلوكِها، ونَهْجِ حَياتِها، وطَريقةِ تَفكيرِها التي وَطَّنتُ نَفْسَها
عليها، فالواضحُ والجَلِيُّ أنَّ وُروِدَ قد أعادتُ التَّفكيرَ أثناء
وُجودِها مُقيِّدةَ اليدينِ والقدمينِ على سريرِ العِلاجِ في المَشفى
الصُّهيوِنِي بصوابيةِ سُلوكِها وتوجُّهها اللامُنطَقي والعَبَثِي مِمَّا

جَعَلَهَا تَصِلُ لنتيجةٍ مَفَادُهَا أَنَّهَا كَانَتْ تَسِيرُ عَلَى الطَّرِيقِ
الْخَاطِئِ لِذَلِكَ قَرَّرْتُ أَنْ تَعُودَ مُكْرَهَةً إِلَى جَادَةِ الصَّوَابِ
وَالْمُنْطِقِ.

وُرُودٌ قَالَتْ عِنْدَمَا خَتَمَتْ كَلَامَهَا أَنَّهَا وَرَدَةً بِرَائِحَةِ الدَّمِ،
ذَاكِرَةً أَنَّ وَالِدَهَا رَجُلٌ مُجَاهِدٌ حُرٌّ، رَجُلٌ جَاهِدَ خَيْرَ جِهَادٍ قَبْلَ
أَنْ يَقَعَ أُسِيرًا، وَوَاصَلَ جِهَادَهُ رَغْمَ الْقَيْدِ وَالسَّجَانِ، رَجُلٌ خَتَمَ
جِهَادَهُ بِالشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، تِلْكَ الشَّهَادَةُ الَّتِي طَلَبَهَا دَائِمًا
وَتَمَنَّاها عِنْدَمَا سَارَ عَلَى دَرَبِ الْكِرَامَةِ وَالْعِزَّةِ وَالْحُرِّيَّةِ، لِذَلِكَ
اسْتَحَقَّ وَالِدِكَ أَنْ يَكُونَ لِلْمَرْجَلَةِ عِنْوَانٌ، عَلَى عَكْسِ وَالِدِي
ذَلِكَ الْوَالِدِ الَّذِي كَانَ لِلْعَمَالَةِ وَالْخِيَانَةِ وَالغَدْرِ عِنْوَانٌ،
بَلْ إِنَّ وَالِدِي كَانَ مَنَارَةً لِلشَّرِّ تَقُودُ كُلَّ مَنْ يَسْتَرْشِدُ
بِهَا نَحْوَ السُّقُوطِ فِي هَاوِيَةِ الْعَمَالَةِ وَجَحِيمِ الْانْحِطَاطِ.

اسْمِي فِلَسْطِينِ، وَأَنَا ابْنَةُ لَعْمِيلٍ وَجَاسُوسٍ قَرَّرَ وَعَنْ سَبْقِ
إِصْرَارٍ وَتَرَصُّدٍ أَنْ يَخُونَ فِلَسْطِينِ الْوَطْنَ، وَفِلَسْطِينِ الْإِبْنَةَ
تَمَامًا؛ لِذَلِكَ يَا وُرُودَ فَوَالِدِي يُمَثِّلُ النَّقِيضَ التَّامَ لَوَالِدِكَ الْمُجَاهِدِ
الَّذِي قَرَّرَ عَنْ سَبْقِ إِصْرَارٍ وَتَرَصُّدٍ أَنْ يُضْحِيَ بِالْغَالِي

والنَّفيس من أجلِ فلسطينِ الوَطَنِ، فلسطينِ الدِّينِ وفلسطينِ الشَّرَفِ وفلسطينِ الوردِ، وورودُ الابنةِ من أجلِ أن تحيا حياةً كريمةً عزيزةً، حياةً حُرَّةً أبيَّةً بلا احتلالٍ صُهيوني وبلا انحلالٍ أوسلويٍّ لَعينٍ ومَقِيتٍ، فوالدي يا وُرود، إنسان تَخَلَّى عَن هُوِيَّتِهِ بإِرادَتِهِ عِنْدَمَا قَرَّرَ التَّوَجُّهَ للصَّهَابِينَةِ، ذَهَبَ لَهُم راجِياً أَنْ يُقْبَلُوهُ عَمِيلاً وَخادِماً لَهُم ضِدَّ أبناءِ فلسطينِ كَأفَّةٍ، فوالدي لا يَعدُو كَوْنَهُ زَرْعُ شَيْطانٍ عُرِسَ فِي أرضِ الرَّحْمَنِ التي بَارَكَ اللهُ فِيها وَحَوْلَها، وَهُنا اعلَمِي يا وُرودِ واعلَمَنَّ يا أُخواتي الحَرائرُ أَنني لا أَفتَري عليه، فهذا ما قاله عَبرَ تَسجيلِ الفِديو الذي قامَتِ المُقاومةُ بِبَيِّنَتِهِ على وسائلِ الإِعلامِ، وتناقلتهُ صَفَحاتُ التَّواصلِ الاجتِماعيِّ وَصَفَحاتُ الإِنترنتِ عِنْدَمَا أَتَمُّوا التَّحقيقَ مَعَهُ، اعترَفَ وَأقرَّ مَنْ لا أَتَشَرَّفُ أَنْ يَكُونَ والدًا لي وبِمَحضِ إِرادَتِهِ وَعَن سَبقِ إِصرارٍ وَترَصُّدٍ أَنْ يَحوِرَ شَعْبَهُ وِدِينَهُ، وَترَصَّدَ للمُجاهِدينَ والمُنْتَفِضينَ، وَوَشى بِهِم واسْتَشهِدَ مِنْهُم مَن اسْتَشهِدَ واعْتَقَلَ مَن اعْتَقَلَ بل عَمِلَ أيضًا على إسقاطِ كُلِّ صاحِبِ نَفْسٍ مَرِيضَةٍ في مَصيَدَةِ العَمالَةِ والخِيانَةِ

مِنْ أَجْلِ أَنْ يَصِلَ بِهِمْ إِلَى هَدَفِهِ الْمَشْرُوعِ.
وَعِنْدَ سْؤَالِهِ عَنِ ذَلِكَ الْهَدَفِ وَعَنْ سَبَبِ قِيَامِهِ بِتِلْكَ
الْأَعْمَالِ الدَّنِيئَةِ وَالْجَبَانَةِ الَّتِي يَرْفُضُهَا كُلُّ صَاحِبِ دِينٍ
وَشَرَفٍ وَقِيمٍ، أَجَابَ بِكُلِّ وَقَاحَةٍ لَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ أَكُونَ كَمَا كَانَ
(أَنْطُونُ لَحْد) الَّذِي تَعَاوَنَ مَعَ الْقُوَاتِ الْإِسْرَائِيلِيَّةِ الَّتِي اجْتَاكَتْ
لُبْنَانَ وَاحْتَلَّتْ عَاصِمَتَهُ بَيْرُوتَ فَمَا كَانَ مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ تَوَجَّهَ
مَلِكًا وَقَائِدًا عَسْكَرِيًّا عَلَى مَنْطِقَةِ الْجَنُوبِ اللَّبْنَانِيِّ بِأَكْمَلِهِ،
وَهَكَذَا أَصْبَحَ صَاحِبَ الْيَدِ الْعُلْيَا وَالْقَائِدَ الْمُطَاعَ فِي الْمَنَاطِقِ
الَّتِي سَيَطَّرُ عَلَيْهَا بِوَسِطَةِ قُوَاتِهِ الَّتِي قَامَ بِتَجْنِيدِهَا، وَقَامَ
الْإِسْرَائِيلِيُّونَ بِتَجْهِيزِهَا بِكَافَّةِ الْاِحْتِيَاجَاتِ وَالْوَسَائِلِ الْقِتَالِيَّةِ
بِالْإِضَافَةِ لِلْمَالِ وَبِكُلِّ مَا يُشْتَرَى بِالْمَالِ، بَلْ أَرَدْتُ أَنْ أَكُونَ
مِثْلَ الدُّرُوزِ فِي فِلَسْطِينَ، الَّذِينَ تَوَحَّدُوا مَعَ الْيَهُودِ عَيْرَ
انْخِرَاطِهِمْ بِكَافَّةِ قُوَاتِ الْأَمْنِ الْإِسْرَائِيلِيَّةِ بِالْإِضَافَةِ لِلجَيْشِ فَغَدَوْا
بِفِعْلِهِمْ هَذَا جُزْءًا لَا يَنْجَزُ مِنْ الدَّوْلَةِ
وَالْعَقْلِيَّةِ الْيَهُودِيَّةِ وَالصُّهْيُونِيَّةِ وَقُوَاتِهَا الرَّادِعَةَ وَالْمُقَاتِلَةَ مِمَّا
حَوْلَهُمْ لِيَكُونُوا الْأَسْيَادَ الَّذِينَ يُشَارِكُونَ فِي حُكْمِكُمْ.

أيها الفلسطينيين العبيد، وحتّى لا نذهب بعيدًا عن أنطوان
 لحد في لبنان، وحتّى عن الدرّوز في فلسطين، التي عدا
 الجزء الأكبر منها ملكًا لليهود بفضل قادّتكم الأوسلويين الذين
 حوّلوكم إلى عبيد تخدمون أسيادكم اليهود بعد أن وقّعوا على
 اتفاقية أوسلو، والتي اعترفوا بموجبها بالحقّ الأصيل لليهود
 بأرض فلسطين، فأنا أردتُ باختصارٍ شديدٍ أن أكون أظهرَ
 من قوّاتِ أوسلو التي وأدّت الانتفاضة الأولى
 (انتفاضة الحجارة)، وأدّت الانتفاضة الثانية (انتفاضة
 الأقصى) وتحولت لتكون الحارسِ الوفيِّ والأمين لمحتلّكم
 الميامين، فكيف لكم يا من تحقّقون معي أن تُدينوني وترفضوا
 عمّالتي للمحتل؟! بل كيف تجرؤون على التحقيق معي بثُمة
 الخيانة والعمالة وتتركون قادة أوسلو السياسيّين وقوّات أمنهم
 التي ترتع كما تشاء فسادًا؟! فهذا جهازُ أمنٍ اسمه جهازُ
 الأمن الوقائي، وذلك جهازُ للمخابرات، وهذا للاستخبارات
 وذاك وذاك، وكلُّهم على اختلافٍ مسمّياتهم عملاء ارتضوا
 لأنفسهم أن يكونوا خدّامًا للصهاينة وجلادين لأبناء شعبهم،

وأردتُ أن أصبحَ أنا الآخرَ جزءًا من تلك المنظومة الأمنية، ذاتِ السطوةِ واليدِ العليا التي تَبْطِشُ بَمَنْ تَشَاءُ وقتَ ما تَشَاءُ، ومع ذلكَ لم أرتضِ لِنفسي أن أكونَ دليلاً مثلهم عبرَ عملي مع قواتِ أوصلو الأمنية؛ لأنَّهم العبيدُ أمّا أنا فسيّدٌ يريدُ أن يَعْمَلَ مع الأسيادِ دونَ وساطةٍ من العبيد، أليسَ من الصَّحيحِ أنَّ الاتفاقياتِ التي وَقَعْتُهَا مُنظَّمَةُ التَّحْرِيرِ الفِلسطِينِيَّةِ أدَّتْ إلى أن تَتَحَوَّلَ قُوَاتُ الثَّوْرَةِ إلى قُوَاتِ عَمَالَةٍ تَحْمِي المُحْتَلِّ وتَسَهَّرُ على أَمْنِهِ وراحتهِ بعدَ أن كَانَتْ قُوَاتُ ثَوْرَةٍ تَحْمِلُ السِّلَاحَ وتُناضِلُ من أجلِ تحريِرِ فِلسطِينِ مِنَ البَحْرِ إلى النَّهْرِ؟! . أليسَ مِنَ الصَّحيحِ أيضًا أن سُلْطَةَ أوصلو أعطتِ الحَصَانَةَ للأجْهزةِ الأَمْنِيَّةِ لكي تُمارِسَ مع المُحْتَلِّ الضَّغْطَ على شعبها بلا أيِّ نوعٍ مِنَ المُساءلةِ والمُحاسبَةِ؟!، وصحيحٌ أيضًا أن هذا أَدَّى بِخِيَانَتِهِمْ لِتَكُونِ خِيَانَةً مَحْمِيَّةً حَسَبَ القَانُونِ الأوسلوي؟! وصحيحٌ أيضًا أن اتفاقيةَ أوصلو والقوانينِ التي نَتَجَتْ عنها تَمَنَعُ أيضًا الأجهزةَ الفِلسطِينِيَّةَ من أن تُلاحِقَ أو تُحاسبَ العُمَّالَ الذين يَعْمَلُونَ معَ أَجْهزةِ الأَمْنِ الإِسْرَائِيلِيَّةِ بِشكْلِ

مُبَاشِرٍ وَمُنْفَرِدٍ؟! مَا دَامَتْ الْحَالُ عَلَى ذَلِكَ فَأَنَا الْآخِرُ عَمِيلٌ
يَعْمَلُ بِشَكْلِ قَانُونِي وَفُقَ الْقَانُونِينَ الْأَوْسَلَوِي وَالْإِسْرَائِيلِي.
كَمْ كَانَ وَالِدِي دَنِيَّ الْفِكْرِ حَسِيَسَ النَّفْسِ وَعَدِيمَ الدِّينِ
وَالْوَطَنِيَّةِ! وَذَلِكَ بِالطَّبْعِ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ كُلُّ مَنْ شَاهَدَهُ يَتَحَدَّثُ
بِكُلِّ وَقَاحَةٍ وَصِرَاحَةٍ يَطْلُبُ حَقَّهُ لَا كَمُجْرِمٍ عَمِيلٍ يَطْلُبُ الْعَفْوَ
وَالسَّمَّاحَ، وَيَطْلُبُ الْغُفْرَانَ وَالتَّوْبَةَ، وَذَلِكَ عِنْدَمَا تَمَّ رَمِيهِ
بِالرِّصَاصِ فِي إِحْدَى السَّاحَاتِ الْعَامَّةِ عَلَى يَدِ رِجَالِ الْمُقَاوِمَةِ.
بَعْدَ مَا حَدَّثَ لَوَالِدِي مَا حَدَّثَ قَرَّرْتُ تَرْكَ مَسْكِنِنَا الْفَارِهِ فِي
الْقَرْيَةِ، مُصْطَحِبَةً كَلًّا مِنْ وَالِدَتِي وَأَخِي الْمُعَاقُ ذَهْنِيًّا وَعَمَّتِي
الَّتِي تَجَاوَزَهَا قِطَارُ الزَّوْاجِ وَتَجَاوَزَتْ الْخَمْسِينَ عَامًا عُمْرًا،
وَدَهَبْتُ بِهِمْ نَحْوَ إِحْدَى ضَوَاحِي الْمَدِينَةِ الْكَبِيرَةِ، وَمِنَ الْجَدِيرِ
بِالذِّكْرِ أَنَّ وَالِدِي لَمْ يَكُنْ فَقِيرًا، أَوْ حَتَّى مِنْ أُنْبَاءِ الطَّبَقَةِ
الْمُتَوَسِّطَةِ، بَلْ كَانَ عَلَى النَّقِيضِ مِنْ ذَلِكَ، فَقَدْ وَرِثَ الْكَثِيرَ
مِنَ الْمَالِ وَالْأَرَاظِي مِنْ وَالِدِهِ، وَكَذَلِكَ أَيْضًا شَرِكَةٌ مُتَخَصِّصَةٌ
لِيَبِيعَ الْمَرْكَبَاتِ الْمُسْتَوْرَدَةَ، اسْتَخْدَمَهَا كِغِطَاءٍ لِعَمَلِهِ النَّجَّسِي
النَّجِسِ، عَمِلْتُ عَلَى إِغْلَاقِهَا وَبَيْعِ الْمَرْكَبَاتِ بِأَقْلٍ مِنْ سِعْرِ

التَّكْلُفَةِ مِنْ أَجْلِ أَنْ أَتَمَّكَنَ مِنَ الْإِبْتِعَادِ وَالْإِنْزِوَاءِ بَعِيدًا عَنْ
النَّاسِ وَأَعْيُنِهِمُ الَّتِي بَاتَتْ تُحَاصِرُنَا بِنَظَرَاتِ الْإِتِّهَامِ
وَسِهَامِ الشُّكِّ وَالرَّيْبَةِ وَخَنَاجِرِ الْإِسْمَنْزَارِ وَالْقَرْفِ.
نَمْ تَرَكْتُ عَمَلِي الَّذِي مَا عُدْتُ قَادِرَةً عَلَى مُزَاوَلَتِهِ، فَكَيْفَ
أَسْتَطِيعُ مُمَارَسَةَ مِهْنَةِ التَّعْلِيمِ وَأَنَا الْمُدَانَةُ كَوْنِي ابْنَةً عَمِيلٍ،
وَبِالطَّبَعِ لَمْ يَكُنْ مُسْتَعْرَبًا أَنْ يَتْرُكَنِي خَطِيبِي وَيَبْتَدِعَ بِلَا سَلَامٍ
وَلَا كَلَامٍ، مُكْتَفِيًا بِبِضْعِ كَلِمَاتٍ هَمَسَ بِهَا عَبْرَ الْهَاتِفِ لِعَمَّتِي
حَيْثُ قَالَ: أَنَّهُ لَمْ يَعُدْ قَادِرًا عَلَى الْوُقُوفِ فِي وَجْهِ الضُّغُوطَاتِ
الَّتِي يُمَارِسُهَا عَلَيْهِ وَالِدِيهِ وَأَبْنَاءُ عَائِلَتِهِ وَعَشِيرَتِهِ الَّذِينَ
يَرْفُضُونَ وَيَشْكُلُ قَاطِعِ اقْتِرَانِهِ فِيهِ، مَكْنُتٌ مُنْطَوِيَةٌ عَلَى نَفْسِي،
حَالِي كَحَالِ وَالِدَتِي وَعَمَّتِي بِمَا يَزِيدُ عَنْ عَامٍ كَامِلٍ، وَطَوَالَ
ذَلِكَ الْعَامِ لَمْ أَغَادِرِ الْمَنْزِلَ إِلَّا مِنْ أَجْلِ شِرَاءِ مُسْتَلْزَمَاتِ
الْمَعِيشَةِ مِنَ السُّوقِ، وَكُنْتُ أَفْعَلُ ذَلِكَ غَالِبًا فِي الْمَسَاءِ وَذَلِكَ
بِالطَّبَعِ حَتَّى أَتَجَنَّبَ الْإِلْتِقَاءَ وَلَوْ بِالصُّدْفَةِ بِأَيِّ أَحَدٍ مِنْ
أَبْنَاءِ قَرِيْبَتِنَا أَوْ مَعَارِفِنَا أَوْ أَقَارِبِنَا، مِمَّنْ كَانُوا فِي الْمَدِينَةِ
لِقَضَاءِ حَاجَةٍ مَا أَوْ لِلْعَمَلِ فِيهَا نَهَارًا، بَلْ وَإِنِّي حَرَصْتُ عَلَى

أَلَا أَغَادِرَ الْمَنْزَلَ إِلَّا وَأَنَا مُرْتَدِيَةٌ النَّقَابَ حَتَّى أَحْبَبَ مَعَالِمَ
 وَجْهِهِ فَلَا يَتَمَكَّنُ أَحَدٌ مِنَ التَّعْرِفِ عَلَيَّ، فَقَبَّلَ أَنْ يَفْتَضِحَ سِرُّ
 وَالِدِي وَعَمَالَتِهِ عَلَى الْمَلَأُ كُنْتُ كَاشِفَةً الْوَجْهَةَ وَالشَّعْرَ، بَلْ إِنَّنِي
 كُنْتُ مِنَ الْكَاسِيَاتِ الْعَارِيَاتِ الْمُتَبَرِّجَاتِ اللَّامُحْتَشِمَاتِ، وَنَتِيجَةُ
 لِنَتِكَ الْأُزْمَةِ وَجَدْتُ نَفْسِي أَقْتَرِبُ مِنَ الدِّينِ وَالتَّدْيِينِ؛ فَلَا اقْتِرَابَ
 مِنْ اللَّهِ كَانَ الدَّوَاءُ وَالتَّرْيَاقُ لِحَالَتِي بِشَكْلِ عَامٍ، وَلِمَرَضِ
 الْاِكْتِنَابِ الَّذِي كَانَ عَلَى وَشِكِّ أَنْ يَفْتِكَ بِي وَيُحَوِّلَنِي إِلَى
 مَرِيضَةٍ نَفْسِيَّةٍ بِشَكْلِ خَاصٍ لَوْلَا لُطْفُ اللَّهِ وَعَفْوُهُ، وَمَعَ مُرُورِ
 الْأَيَّامِ بَدَأْتُ أَدْرِكُ مَدَى حَاجَتِي لِلنُّهُوضِ مِنْ جَدِيدٍ، فَالَسْتُ قُوتُ
 فِي مُسْتَنْقَعِ الْيَأْسِ وَالْاِكْتِنَابِ كَانَ سَبَبُهُ الرَّئِيسِي هَزِيمَةٌ رُوحِي
 الَّتِي مَضَعَتْهَا أَفْوَاهُ النَّاسِ وَأَكَلِي لُحُومِ الْبَشَرِ أَحْيَاءً؛، لِذَلِكَ
 قَرَّرْتُ أَنْ لَا أَسْمَحَ لِهَوْلَاءِ بِمُوَاصَلَةِ نَهْشِ لَحْمِي وَجَلْدِي بِسِيَاطِ
 أَلْسِنَتِهِمْ الْمَسْمُومَةِ بَعْدَ الْآنِ؛ فَلَا ذَنْبَ لِي وَلَا لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ
 بَيْتِي بِمَا اقْتَرَفَهُ ذَلِكَ الشَّرِيرُ وَالِدِي، ثُمَّ إِنَّنِي لَمْ أَكُنْ فِي يَوْمٍ
 مِنْ الْأَيَّامِ مِمَّنْ يَنْدُبُونَ حَظَّهُمْ وَيَبْكُونَ زَمَانَهُمْ وَلَا مِمَّنْ
 يَعْتَرِضُونَ عَلَى قِضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَقَدَرِهِ، فَاخْتَرْتُ

التهوضِ ومُواجهَةِ النَّاسِ والمُجْتَمَعِ... ذلكَ ما عليَّ القِيَامُ بِهِ.
قُدْتُ سَيَّارَتِي جَهَارًا نَهَارًا، ذَهَبْتُ بِهَا نَحْوَ قَرِيْبَتِنَا وَاثِقَةَ
الْخَطِي، غَيْرَ خَائِفَةٍ مِنَ الْعِيُونِ وَالْأَلْسِنَةِ فِي الْقَرْيَةِ، عَلَى
الرَّغْمِ مِنْ مُرُورِ زَمَنِ طَوِيلٍ عَلَى مَا حَدَثَ، فَلَا لِلْاِخْتِبَاءِ وَلَا
لِلْاِخْتِفَاءِ بَعْدَ الْيَوْمِ وَنَعَمَ لِلْمُوَاجَهَةِ وَلَكِنْ بَلَا تَحَدُّ،
لِذَلِكَ مَا إِنْ وَصَلْتُ الْمَنْزِلَ حَتَّى عَمِلْتُ جَاهِدَةً
عَلَى تَنْظِيفِهِ وَتَوْضِيئِهِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَعُودَ كَمَا كَانَ،
وَيُصْبِحَ جَاهِرًا لِاسْتِقْبَالِ الْوَالِدِي وَعَمَّتِي وَأَخِي،
جَهَّزْتُ نَفْسِي، وَحَرَمْتُ حَقَائِبِي وَذَلِكَ مِنْ أَجْلِ
الْعُودَةِ إِلَى مَسَقَطِ رَأْسِي لِلسَّكَنِ وَالِاسْتِقْرَارِ،
فَهُنَاكَ أَهْلُنَا وَأَقْرَابُنَا وَهُنَاكَ ذِكْرِيَاتُنَا الْجَيِّدَةَ وَالسَّيِّئَةَ،
وَهُنَاكَ مَنْ يَكْرَهُونَنَا، وَمَنْ يُحِبُّونَنَا عَلَى مَا أَعْتَقَدُ.
مَا إِنْ أَصْبَحَ الْمَنْزِلُ جَاهِرًا حَتَّى اصْطَحَبْتُ عَائِلَتِي إِلَيْهِ فِي
وَضَحِ النَّهَارِ، وَالْجَدِيرُ بِالذِّكْرِ أَنَّ إِقْنَاعَ عَائِلَتِي لَمْ يَتَطَلَّبْ
جُهْدًا فَهُمْ مَنْ كَانُوا يُلْحُونَ عَلَيَّ مُنْذُ مُدَّةٍ طَوِيلَةٍ مِنْ أَجْلِ أَنْ

نَذَهَبَ لِلْعَيْشِ فِي الْقَرْيَةِ، فَهَمْ قَدْ كَرِهُوا الْعَيْشَ فِي الْمَدِينَةِ الَّتِي
غَدَتْ بِالنِّسْبَةِ لَهُمْ كَمَا أَنَّهَا سِجْنٌ يَلْقَوْنَ فِيهِ هَمًّا وَغَمًّا.

مَرَّ يَوْمَنَا الْأَوَّلُ وَالثَّانِي وَالْعَاشِرُ دُونَ أَنْ يَطَّرِقَ أَيُّ أَحَدٍ
مِنْ سُكَّانِ الْقَرْيَةِ بَابَ مَنْزِلِنَا، أَمَا عِنْدَمَا حَاوَلْتُ طَرُقَ الْأَبْوَابِ
بِشَكْلِ غَيْرِ مُبَاشِرٍ عَبْرَ شِرَاءِ مُسْتَلْزَمَاتِ الْمَنْزَلِ وَاحْتِيَاجَاتِهِ مِنْ
مَتَاجِرِ الْقَرْيَةِ وَمَحَالِهَا، وَجَدْتُ الْأَبْوَابَ وَقَدْ بَدَأَتْ تَفْتَحُ بِشَكْلِ
إِجَابِي، فَبَعْضُهَا فُتِحَ بِمُفْتَاكِحِ الْمَالِ، فَالْكُلُّ يَعْلَمُ أَنَّ مَا زِلْنَا
مِنْ أَصْحَابِ الْمَالِ وَالثَّرْوَةِ وَيَعْلَمُونَ أَيْضًا أَنَّ أَمْوَالَنَا غَيْرَ
مُؤَثَّةٍ بِعَمَالَةِ وَالِدِي وَخِيَانَتِهِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الثَّرْوَةَ قَدْ وَرِثْنَاهَا
مِيرَاثَ أَبِي عَنْ جَدِّ، وَفُتِحَتْ الْعَدِيدُ مِنَ الْأَبْوَابِ رَافَةً وَشَفَقَةً
عَلَى حَالِنَا، ذَلِكَ أَنَّ كُلَّ صَاحِبِ عَقْلِ رَاجِحٍ يُدْرِكُ أَنَّ لَا ذَنْبَ
لَنَا بِمَا افْتَرَفَهُ وَالِدِي، وَيُدْرِكُ أَيْضًا مَدَى تَمَسُّكِنَا وَحُبِّنَا
لِفِلَسْطِينَ الْأَرْضِ وَالْوَطَنِ، وَمِقْدَارِ احْتِرَامِنَا لِلْمُقَاوِمَةِ
وَالْمُقَاوِمِينَ، وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ عَدَمِ انْخِرَاطِي فِي أَيِّ مَنْ
صُفُوفِ الْحَرَكَاتِ الْفِلَسْطِينِيَّةِ الْمُقَاوِمَةِ بِشَكْلِ مُبَاشِرٍ إِلَّا أَنْنِي

كُنْتُ أَفَاحِزُ أَثْنَاءَ دِرَاسَتِي الْجَامِعِيَةِ بِأَنَّيَ أَنَا الْفَتَاةُ غَيْرَ
الْمُحَجَّبةِ قُمتُ بِانْتِخَابِ الْقَائِمَةِ الطُّلَابِيَّةِ الْمَحْسُوبَةِ عَلَى
الْحَرَكَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ حِمَاسٍ، وَبَعْدَ أَنْ أَتَمَمْتُ دِرَاسَتِي بِأَعْوَامٍ،
وَحَانَ مَوْعِدُ انْتِخَابَاتِ الْمَجْلِسِ التَّشْرِيْعِيِّ الْفِلَسْطِينِيِّ، قُمتُ
بِالنَّصُوبِ أَنَا وَوَالِدَتِي وَعَمَّتِي لِصَالِحِ كُنْتَلَةِ التَّغْيِيرِ وَالْإِصْلَاحِ
الْحَمْسَاوِيَّةِ، عَلَى عَكْسِ مَا فَعَلَهُ وَالِدِي الَّذِي صَوَّتَ لِنَفْسِهِ،
عِنْدَمَا صَوَّتَ لَصُفْرِ السَّرِيرَةِ، وَاخْتَارَ قَائِمَةً مَن هُم عَلَى نَفْسِ
شِكلِهِ وَتَهْجِهِ، لَقَدْ فَعَلْتُ ذَلِكَ عَن قِنَاعَةٍ مُطْلَقَةٍ، وَأَلَّيْتُ مُؤَمِّنَةً
بِأَنَّهُمْ الْأَجْدَرُ وَالْأَصْلَحُ لِقِيَادَةِ الْمَرْكَزِ الْفِلَسْطِينِيِّ، الَّذِي تَنَحَّبَطَهُ
الْأَمْوَاجُ، وَتَعْصِفُ بِهِ الرِّيَّاحُ وَالْعَوَاصِفُ، لِبَرِّ الْأَمَانِ
وَلِلانْتِقَاقِ مَن نَيْرِ الْإِحْتِلَالِ الصَّهْيُونِيِّ اللَّعِينِ وَمِن نَيْرَانِهِ،
وَمِن نَيْرِ الْفَسَادِ الْأَوْسَلُويِّ وَمِيكَافِيلِيَّتِهِ.

مَعَ مُرُورِ شَهْرٍ عَلَى عَوْدَتِنَا لِمَنْزِلِنَا، كَانَ قَدْ مَرَّ عَلَى بَيْتِنَا
الْعَدِيدُ مِنَ النِّسَاءِ الطَّاعِنَاتِ فِي السَّنِّ، وَذَلِكَ لِلَاظْمُنَانِ عَلَى
صِحَّةِ وَالِدَتِي الَّتِي كَانَتْ بِتَدَهُّورٍ مُسْتَمِرٍّ، بَعْدَ أَنْ عَلِمْتُ أَنَّ

رَوَّجَهَا وَوَالِدَ أَبْنَائِهَا خَائِنٌ وَعَمِيلٌ، أَمَا بَعْدَ حُلُولِ شَهْرِ رَمَضَانَ
 الْمُبَارَكِ الَّذِي حَلَّ بَعْدَ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ عَلَى عَوْدَتِنَا لِلْقَرْيَةِ،
 تَحَسَّنَتْ صِحَّةُ وَالِدَتِي وَذَلِكَ طَبْعًا بِسَبَبِ تَحَسُّنِ
 نَفْسِيَّتِهَا، وَتَقَبُّلِهَا فِكْرَةَ التَّعَايُشِ مَعَ الْمِيرَاثِ الْمُمَيَّتِ،
 الَّذِي أَوْرَثَهَا إِيَّاهُ زَوْجُهَا الْعَمِيلُ الْمَيِّتُ، وَغَدَتِ
 نَقَوْمُ هِيَ وَعَمَّتِي بَزِيَارَاتٍ لَصَدِيقَاتِهِنَّ وَرَفِيقَاتِ طُفُولَتِهِنَّ،
 اللَّوَاتِي بَادَرَتْ الْعَدِيدُ مِنْهُنَّ بَزِيَارَةَ وَالِدَتِي وَعَمَّتِي أَوْلًا.
 هُنَا يَا وُرُودُ، وَيَا أَخَوَاتِي، بَعْدَ أَنْ اطْمَأَنَّتْ لَنَا أَنْفُسُ أَهْلِ
 الْقَرْيَةِ، وَفُتِحَتْ لَنَا قُلُوبُهُمْ مُجَدِّدًا، بَعْدَ أَنْ زَالَتْ الْغِشَاوَةُ عَنْهَا
 وَعَنْ عَقُولِهِمْ، بَدَأْتُ أَشْعُرُ أَنَّ عَجَلَةَ الْحَيَاةِ أَخَذَتْ بِالذُّرَانِ مِنْ
 جَدِيدٍ، فَانطَلَقْتُ مَعَهَا كَمَا تَنْتَلِقُ قَطْرَاتُ الْمَطَرِ الْمُتتَابِعَةِ
 تَحْفَرُ أُخْدُودًا وَطَرِيقًا لَهَا فِي الصَّخْرِ الْأَصَمِّ، إِلَّا أَنَّ الْمَوْلَى
 عَزَّ وَجَلَّ قَدَّرَ لِي مَا هُوَ أَكْبَرُ وَأَعَزُّ، بِحَيْثُ لَا أَبْقَى كَمَا
 الْمَطَرِ الْمُتتَابِعِ، بَلْ أَكُونُ كَمَا الْبُرْكَانِ غَضَبٌ لَاهِبٌ يَثُورُ
 لِأَفْظًا جِمَمَهُ فِي وَجْهِ الْمُحْتَلِّ وَجُنُودِهِ الْغُرَاةِ الْبُغَاةِ، وَكَأَنَّهُ
 (تسونامي) مُنْدَفِعٌ بِشَكْلِ مُفَاجِئٍ فِي إِحْدَى لَيَالِي الشِّتَاءِ

القارسِ قَرَّرَ الْمُحْتَلِّينَ قَضَّ مَضْجَعِنَا وَإِعَادَةَ نَكْتِ جُرْحِنَا مِنْ جَدِيدٍ، وَذَلِكَ عَبْرَ مُدَاهِمَتِهِمْ لِمَنْزِلِنَا بِالرَّغْمِ مِنْ عَدَمِ وُجُودِ أَيِّ حَاجَةٍ لِأَنْ يَقُومُوا بِتَفْجِيرِ بَوَابَتِهِ كَمَا حَدَثَ مَعَكَ يَا وُرُودَ؛ فَهَمْ يَعْتَقِدُونَ وَاهِمِينَ أَنَّ مَنْزِلَ وَالِدِي الْعَمِيلِ هُوَ مَنْزِلَهُمْ، فَقَامُوا بِالطَّرْقِ عَلَى بَابِ مَنْزِلِنَا الْخَارِجِيِّ، وَالضَّغَطِ عَلَى مِفْتَاحِ جَرَسِ الْمَنْزِلِ، وَعِنْدَهَا اسْتَيْقَظْتُ لِأَجْدَهُمْ وَقَدْ أَحَاطُوا سِوَرِ الْحَدِيقَةِ مِنْ جِهَاتِهَا الْأَرْبَعَةِ، إِلَّا أَنَّ أَحَدًا مِنْهُمْ لَمْ تَطَأْ قَدَمَاهُ أَرْضَ الْحَدِيقَةِ، فَبَقُوا يَنْتَظِرُونَ أَمَامَ عَتَبَةِ الْبَابِ الْخَارِجِيِّ ظُهُورَ أَحَدٍ مَنَّا لِيَفْتَحَ لَهُمُ الْبَابَ، مُرَحِّبًا وَمُهَلِّلاً كَمَا يَعْتَقِدُونَ، وَهُنَا سَأَلْتُ وَالِدَتِي وَعَمَّتِي عَمَّا عَلَيْنَا فِعْلُهُ، اقْتَرَحْتُ عَمَّتِي أَنْ تَخْرُجَ هِيَ بِصُحْبَةِ أَخِي الْمُعَاقِ ذِهْنِيًّا، لِفَتْحِ الْبَابِ وَسُؤَالِهِمْ عَنْ سَبَبِ حُضُورِهِمْ وَتَشْرِيفِهِمْ لَنَا بِهَذِهِ الزِّيَارَةِ غَيْرِ الْمُبَارَكَةِ فِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ وَهَذَا بِالطَّبَعِ مَا حَدَثَ، فَقَدْ انْطَلَقَتْ عَمَّتِي بِرِفْقَةِ أَخِي نَحْوَ بَابِ الْحَدِيقَةِ بَعْدَ أَنْ اجْتَازَاهُ، وَمَا إِنْ وَصَلَا إِلَى هُنَاكَ حَتَّى فَتَحَا الْبَابَ لِغُرَبَانِ اللَّيْلِ وَجَرْدَانِهِ، وَمَا هِيَ إِلَّا دَقَائِقُ مَعْدُودَةٌ، حَتَّى عَادُوا مُصْطَحِبِينَ مَعَهُمْ عَدَدًا مِنَ الضُّبَابِ

والجنود الذين دَخَلُوا الْمَنْزِلَ، وَكَأَنَّهُ تَكْنَةُ عَسْكَرِيَّةٍ تَابِعَةٌ لَهُمْ، بَلْ إِنَّهُمْ بَلَّغُوا مِنَ الْوَقَاحَةِ حَدَّ طَلَبِهِمْ مِنْ وَالدَّتِي إِعْدَادَ شَرَابٍ سَاخِنٍ هَرَبًا مِنْ بَرْدِ الشِّتَاءِ وَهَذَا طَبَعًا كَرُمُ الضِّيَافَةِ الَّذِي يَتَوَقَّعُونَهُ مِنَّا كَمَا قَالُوا، بَلْ إِنَّ وَقَاحَتِهِمْ بَلَغَ مَدَاهَا عِنْدَمَا قَالُوا أَنَّ سَبَبَ زِيَارَتِهِمْ لِلطَّمِينَانِ عَلَى أُسْرَةِ صَدِيقِهِمُ الْمَرْحُومِ أَبِي فِلَسْطِينَ، وَعِنْدَهَا طَلِبْتُ مِنِّي وَالدَّتِي الْإِسْرَاعَ فِي إِعْدَادِ الشَّيْءِ وَذَلِكَ حَتَّى يُغَادِرُوا الْمَنْزِلَ بِلا تَلَكُّوْ، وَفِي خِصْمٍ ذَلِكَ نَهَضَ أَخِي الْمُعَاقُ زِهْنِيًّا لَا جَسَدِيًّا، الْمُعَاقُ عَقْلًا لَا قَلْبًا، وَقَرَّرَ مُرَافِقَتِي إِلَى الْمَطْبَخِ، وَكَأَنَّهُ يُرِيدُ بِفِعْلِهِ هَذَا أَنْ يُرْسِلَ لِي إِشَارَةً تُهَدِّئُ مِنْ رَوْعِي وَتُطْمَئِنِّنِي، فَدَخَلْتُ بِصُحْبَتِهِ إِلَى الْمَطْبَخِ، وَبَدَأَتْ إِعْدَادَ الشَّيْءِ عَلَى الْفُورِ، وَنَظَرْتُ نَحْوَ أَخِي فَوَجَدْتُهُ هُوَ الْآخِرَ يُنْظَرُ نَحْوِي، وَمَا لَبِثَ أَنْ وَجَّهَ نَظْرَاتِهِ نَحْوَ مَجْمُوعَةٍ مِنْ سَكَكِينِ النَّقْطِيعِ الْكَبِيرَةِ الَّتِي كَانَتْ جَائِمَةً بِجِوَارِ اللَّوْحِ الْمُخَصَّصِ لِنَقْطِيعِ اللَّحْمِ، وَعَادَ بَعْدَ ذَلِكَ لِيُوجِّهَ عَيْنِيهِ نَحْوِي، وَمَا هِيَ إِلَّا ثَوَانٍ مَعْدُودَةٍ حَيْثُ كَانَتْ عَيْنَانَا قَدْ تَوَاصَلَتَا مَعَ بَعْضِهِمَا الْبَعْضَ، وَكَأَنَّهُمَا عَقْلَانِ يُعَدَّا خُطَّةً، وَيَتَشَاوَرَانِ

فيما بيئهُما في كَيْفِيَّةٍ تَنْفِيذِهَا على أَكْمَلِ وَجْهِهِ، وفي تِلْكَ الأَثْنَاءِ
 اقْتَحَمَ عَلَيْنَا المَطْبُخَ ضَابِطٌ صُهِبُونِي، وَجُنْدِيٌّ مِنْ أَجْلِ
 الاطِّلاعِ على مَا كُنَّا نَفْعَلُهُ، فَمَا كَانَ مِنْ أَخِي إِلاَّ أَنْ اسْتَلَّ
 سِكِّينًا هِيَ الأَكْبَرُ مِنْ بَيْنِ السِّكَاكِينِ، وَانهَالَ على الضَّابِطِ
 طَعْنًا، وَظَلَّ يَغْرِسُ طَعَنَاتِهِ فِي صَدْرِ الضَّابِطِ، وَكُنْتُ قَدْ
 اسْتَلَلْتُ سِكِّينًا أُخْرَى، وَبَدَأْتُ بِطَعْنِ الجُنْدِيِّ الَّذِي كَانَ بِجِوَارِهِ،
 وَمَا هِيَ إِلاَّ ثَوَانٍ مَعْدُودَةٌ وَكَأَنَّهَا أَلْفُ عَامٍ، حَتَّى كُنْتُ أَنَا
 وَأَخِي قَدْ سَدَدْنَا العِشْرَاتِ مِنَ الطَّعَنَاتِ القَوِيَّةِ وَالغَاضِبَةِ
 وَالمَتَالِيَةِ إِلى جَسَدِ الضَّابِطِ وَالجُنْدِيِّ، فَأَصْبَحَا جُنَّتَيْنِ هَامِدَتَيْنِ
 تَسْبُحَانِ فِي بَحْرِ هَائِجٍ مِنَ الدِّمَاءِ بِلا مُقاوِمَةٍ، وَهنا بِفِعْلِ
 صِيحَاتِهِمَا الَّتِي سَبَقَتْ مَوْتَهُمَا، بَدَأْتُ أَسْمَعُ صَوْتَ أَزِيزِ
 الرِّصَاصِ المُدَوِّيِّ، الَّذِي اخْتَرَقَ جَسَدَ أَخِي الطَّاهِرِ، فَارْتَقَى
 على أَثَرِهَا شَهِيدًا، أَمَا أَنَا فَلَمْ أُصَبْ بِأَيِّ أَذَى مِنْ
 الرِّصَاصَاتِ، فَاللهُ _تعالى_ قَدْ أَعْمَى بَصَرَهُمْ وَبَصِيرَتَهُمْ
 عَنِّي، حَيْثُ اعْتَقَدُوا فِي بادِيِ الأَمْرِ أَنَّ أَخِي هُوَ مَنْ قَامَ بِذَلِكَ
 الفِعْلِ لَوْحَدِهِ، لِأَنَّهُمْ عِنْدَمَا اقْتَحَمُوا المَطْبُخَ وَجَدُونِي أَقْفُ على

قَدَمِي وَلَا أَحْمِلُ بِيَدِي أَيَّ أَدَاةٍ تَدُلُّ عَلَى أَنْ لِي يَدًا فِيمَا حَدَثَ،
 حَيْثُ عَلِقَتْ سِكِّينِي فِي رَقَبَةِ الْجُنْدِي الَّذِي قُتِلَ بِطَعْنِهِ وَلَمْ
 أَتَمَكَّنْ مِنْ انْتِزَاعِهَا؛ لِذَلِكَ وَقَفْتُ كَيْ أُحْضِرَ سِكِّينًا أُخْرَى فِي
 تِلْكَ الْأَثْنَاءِ، أَمَّا أَخِي الْبَطْلُ عِنْدَمَا هُرِعُوا لِلْمَكَانِ كَانَ لَا يَزَالُ
 يَطْعَنُ بِالْجُنُثِ الْهَامِدَةِ؛ فَاطْلُقُوا النَّارَ عَلَيْهِ مُبَاشِرَةً، وَارْتَقَى
 شَهِيدًا عَلَى الْفُورِ، وَلِسُوءِ الْحَظِّ تَمَكَّنَ الصَّهَابِيُّ مِنَ إِدْرَاكِ
 حَقِيقَةِ مَا حَدَثَ، وَأَنَّ مَنْ قَامَ بِقَتْلِ الْجُنْدِي هُوَ أَنَا؛ لِأَنَّ دِمَاءَهُ
 كَانَتْ قَدْ تَنَاطَرَتْ عَلَى مَلَاسِي، وَأَصَابِعِي قَدْ تَرَكَتْ بِصَمَاتِهَا
 عَلَى السِّكِّينِ الَّتِي كَانَتْ مَغْرُورَةً فِي رَقَبَةِ الْجُنْدِي، وَهَكَذَا قَامُوا
 بِتَقْيِيدِي وَاقْتِيَادِي إِلَى أَقْبِيَةِ التَّحْقِيقِ، اعْتَرَفْتُ هُنَاكَ بِمَا قُتِلْتُ
 بِفِعْلِهِ وَبَعْدَهَا قَامُوا بِرَجِّي حَيْثُ أَنْتَنُّ وَأَنَا الْآنَ، وَكَمَا تَعَلَّمَنَ لَا
 أَدْرِي مَا هُوَ السَّبَبُ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي دَفَعَ أَخِي الْمُعَاقُ ذَهْنِيًا
 لِلْإِقْدَامِ عَلَى مَا قَامَ بِهِ؟! وَلَسْتُ أَدْرِي مَا السَّبَبُ فِعْلِيًّا خَلَفَ مَا
 قُتِلْتُ بِهِ؟! أَهُوَ الرَّغْبَةُ الدَّفِينَةُ بِدَاخِلِي الَّتِي تُحَرِّضُنِي عَلَى
 الْإِنْتِقَامِ مِنَ الْمُحْتَلِّينَ لِأَنَّهُمْ مُحْتَلِّونَ، أَمْ هُوَ السَّعْيُ الدَّائِمُ مِنَ
 أَجْلِ تَطْهِيرِ اسْمِ عَائِلَتِي الَّذِي تَلَوَّثَ بِسَبَبِ مَا قَامَ بِهِ وَالَّذِي

العميل، أم أنه عدوى عمليات الطعن والدهس والقاء الحجارة
والزجاجات الحارقة التي حدثت وما زالت تحدث بشكل فردي
نتيجة مايقوم به المستوطنون الصهاينة من عمليات تدنيس
للمسجد الأقصى، وأعمال تتكيل بالفلستينيين العزل؟! لست
أعلم.... يبدو أنني لن أنسى ما حدث ما حبيتُ لكنني سعيدة
ومسرورة وفخورة بما أقدّم عليه أخي وأقدّمت، هل تعلمين يا
رود أن خطيبي الذي سبق وأن فسّخ خطوبته بي بعد أن
اكتشفت عمالة والدي، قد أرسل لي رسالة مع والدتي قرأتها
على مسّمي خلال الزيارة قبل أيام معدودة، يطلب مني
وبالحاح العودة مجددًا للارتباط بي على الرغم من علمه أن
الصهاينة سيحكمون عليّ بالحكم المؤبد؟! رفضت طلبه لأنني
لست بحاجة للارتباط بمن تخلى عني عندما كنتُ بأمسّ
الحاجة له، وزدتُ على ذلك عندما أبلغتُ والدتي برغبتني في
الموافقة على طلب أم أحمد المربية الفاضلة والمربية الأسيرة
التي قاومت بالكلمة من خلال تدريسها لآيات القرآن الكريم
وعلمه في مساطب الأقصى وساحاته، فدفعتُ لذلك ثمنًا أن

رَجَّ بِهَا الصَّهَابِيَّةُ خَلْفَ فُضْبَانَ الْأَسْرِ بِثُهْمَةِ التَّحْرِيزِ عَلَى
الإرهاب.

أُمُّ أَحْمَدِ وَالذَّةُ الْمُجَاهِدُ الْقَسَّامِيُّ الَّذِي حَكَّمَ عَلَيْهِ الْإِحْتِلَالُ
بِعَشْرَاتِ الْمُؤَيَّدَاتِ؛ لِأَنَّهُ اتَّخَنَ فِيهِمْ الْمَقَاوِمَةَ وَقَتَلَ مِنْهُمْ
وَأَصَابَ الْعَشْرَاتِ، وَهُنَا أَوْمَأَتْ وَالذَّتِي بِرَأْسِهَا مُعَلَّنَةٌ مُوَافَقَتَهَا
عَلَى رَغْبَتِي بِالْإِقْتِرَانِ بِهِ، اسْمَحْنَ يَا أَخَوَاتِي الْمُجَاهِدَاتِ
الْمَاجِدَاتِ، أَنْ أَدْكُرَنَّ بِمَا أَخْبَرْنَا بِهِ نَبِيْنَا الصَّادِقُ الْأَمِينُ،
حِينَ قَالَ أَنَّ قَدَرَ الْإِنْسَانِ قَدْ كُتِبَ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَأَخْبَرْنَا أَنَّهُ يَوْمَ أَنْ وُلِدْنَا كُتِبَ
الْمَلَكُ رِزْقَنَا وَحَيَاتِنَا، وَإِنْ كُنَّا سَنَحِيَا أَشْقِيَاءَ أَمْ سَعْدَاءَ، لِذَلِكَ
فَلَا تَقْنَطَنَّ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَاعْلَمَنَّ عِلْمَ الْيَقِينِ أَنَّ الْحُكْمَ هُوَ
حُكْمُ اللَّهِ، وَمَا الْمُؤَيَّدَاتِ وَالْأَحْكَامِ الظَّالِمَةِ الَّتِي أَصْدَرَهَا
الصَّهَابِيَّةُ بِحَقِّنَا إِلَّا جِبْرَ مَالِهِ الزَّوَالِ؛ لِأَنَّهُ كُتِبَ عَلَى وَرَقِ
الظُّلْمِ وَالطُّغْيَانِ، سَتَمَضِي بِنَا الْأَيَّامِ وَسَتَرَيْنَ بِأُمَّ أَعْيُنُكُنَّ، كَيْفَ
بِمَكْلُومِي الْأَمْسِ وَإِذْ هُمْ أَسْعُدُ خَلَقَ اللَّهُ الْيَوْمَ؟! تِلْكَ يَا أَخَوَاتِي
حِكَايَتِي الَّتِي أَجْرَمُ أَنْ نَهَايْتَهَا بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَبَارَكَ

الحرية والفرج لي ولكن ولخطيبي أحمد أيضاً
يا أم أحمد فهاتي ما عندك يا أم أحمد وأسمعينا حكايتك.

الفصل السادس

مَشْرُوعٌ مُقَاوِمٌ

عُدْرًا مِنْكُنَّ بَنَاتِي الحَزَائِرُ، وَعُدْرًا مِنْكِ ابْنَتِي الْقَادِمَةَ
الْجَدِيدَةَ مِنْ عَبَقِ الْحُرِّيَّةِ وَالْمُقَاوِمَةِ وَرُودِ، وَذَلِكَ لِأَنَّي لَنْ
أَحْدِثُكَ عَنْ نَفْسِي وَلَكِنِّي سَأَحْدِثُكَ عَنْ مَشْرُوعِي الْمُقَاوِمِ . .
الَّذِي وَهَبْتُ لَهُ كُلَّ عُمْرِي مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِ أَنْ أُسَمِّيْتُهُ أَحْمَدُ.
أَحْمَدُ هُوَ ابْنِي وَوَحِيدِي وَكُلَّ دُنْيَايَ، وَهُوَ الْوَسِيلَةُ الَّتِي
ازْتَأَيْتُهَا لِلتَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- وَنَيْلِ رِضَاهِ.
فَمُنْذُ أَنْ كَتَبَ اللَّهُ لِوَالِدِهِ الشَّهَادَةَ عَلَى يَدِ قَوَاتِ الْإِجْرَامِ
الصَّهْيُونِيَّةِ، بَعْدَ عَمَلِيَّةِ اغْتِيَالِ جَبَانَةِ نَفْذُهَا بِحَقِّهِ بَعْدَ تَأْدِيَّتِهِ
لِصَلَاةِ الْجُمُعَةِ فِي بَاحَاتِ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، حَيْثُ انْطَلَقَ فِي
ذَلِكَ الْيَوْمِ لِيَهْتَفَ وَيُكَبِّرَ مَعَ إِخْوَانِهِ الْمُصَلِّينَ بِأَعْلَى صَوْتِهِمْ:
"اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ وَالنَّصْرُ
لِلْإِسْلَامِ... وَالْعِزَّةُ لِلْقِسَامِ".

وَفِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ ذَلِكَ كَانَتْ فَلِسْطِينُ تَبْكِي بِحُرْقَةٍ فَالْشَّقُّ
 الْآخَرَ مِنَ الْوَطَنِ وَقَلْبُهُ النَّابِضُ بِالْمُقَاوَمَةِ... غَزَّةُ كَانَتْ تَتَأَلَّمُ؛
 لِأَنَّهَا تَقْصَفُ جَوًّا وَبَرًّا وَبَحْرًا، بِمُخْتَلَفِ أَنْوَاعِ الْقَنَابِلِ الْمُدْمَرَةِ
 وَالْحَارِقَةِ، بَلْ قُصِفَتْ أَيْضًا بِقَنَابِلِ الْفُسْفُورِ الْمُحْرَمَةِ دَوْلِيًّا،
 حَدَّثَ ذَلِكَ لَيْلًا وَنَهَارًا، خُفِيَّةً وَجَهَارًا، وَعَلَى مَرَأَى وَمَسْمَعِ
 الْعَالَمِ كُلِّهِ . . . لَكِنَّهُ كَانَ أَعْمَى وَأَصَمَّ، لَقَدْ كَانَ عَالِمًا مَيِّبًا،
 فَمَا كَانَ مِنَ الْأَحْيَاءِ الْأَحْرَارِ فِي الضَّقَّةِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْقُدْسِ
 وَمُخْتَلَفِ مُدُنِ فَلِسْطِينِ وَقُرَاهَا إِلَّا أَنْ هَبَّوْا مُنْتَقِضِينَ، فَمِنْهُمْ
 مِنْ امْتَشَقَ الْبُنْدُوقِيَّةَ مُطْلَقًا الرَّصَاصَ وَمُقَجَّرًا الْعِبُوتِ النَّاسِيفَةَ،
 وَمِنْهُمْ مِنْ اسْتَلَّ سِكِّينَهُ فَطَعَنَ، وَمِنْهُمْ مَنْ رَكِبَ جَوَادَهُ
 الْمُدَوْلَبَ فَدَهَسَ بِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَبَرَّعَ بِالْمَالِ وَالْحُلِيِّ وَالذَّهَبِ،
 وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَكُنْ قَادِرًا سِوَى عَلَى التَّظَاهُرِ وَالهِتَافِ مُكَبَّرًا
 وَمُسْتَنْهَضًا الْهَمِّ وَمَحْرَضًا عَلَى الْمُقَاوَمَةِ، وَذَلِكَ هُوَ رَوْجِي
 الضَّرِيرِ أَبُو أَحْمَدَ، لَقَدْ فَقَدَ رَوْجِي الْفُدْرَةَ عَلَى الْإِبْصَارِ بَعْدَ
 عَامٍ مِنْ ازْتِبَاطِنَا بِبَعْضِنَا وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ قَامَ الْأَطِبَاءُ بِإِزَالَةِ
 وَرِمِ دِمَاعِي كَانَ قَدْ أَصَابَهُ، وَمَا إِنْ أَرَأُوهُ حَتَّى فُوجِي

الْجَرَاحُونَ بِمَرِيضِهِمْ وَقَدْ فَقَدَ الْفُدْرَةَ عَلَى الْإِبْصَارِ، بِالرَّغْمِ مِنْ
أَنَّ الْعَمَلِيَّةَ مَا كَانَتْ لِتَسَبَّبَ ذَلِكَ، وَلَكِنَّهَا فُدْرَةُ اللَّهِ وَقَدْرُهُ مِمَّا
حَذَا بِهِ لِلتَّوَقُّفِ عَنِ التَّدْرِيسِ الْجَامِعِيِّ وَالتَّفَرُّغِ لِتَدْرِيسِ الْقُرْآنِ
فِي بَاحَاتِ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى.

فِي تِلْكَ الْفِتْرَةِ كُنْتُ حَامِلًا بِابْنِنَا الْأَوَّلِ وَالْأَخِيرِ أَحْمَدَ، الَّذِي
قَدَّرَ اللَّهُ لَهُ أَنْ يُولَدَ يَتِيمًا بِلَا أَبِي يَرْعَاهُ أَوْ يَصُوبُ خُطَاهُ، فَمَا
كَانَ مِنِّي بَعْدَ أَنْ اسْتَشْهَدَ زَوْجِي وَأَنْجَبْتُ وَلَدِي إِلَّا أَنْ سَلَكَتُ
الطَّرِيقَ الَّذِي سَلَكَتُهُ قَبْلِي الْأُمَمَاتُ الْفِلَسْطِينِيَّاتِ بِإِرَادَتِهِنَّ
عِنْدَمَا نَدَرْنَ حَيَاتِهِنَّ مِنْ أَجْلِ تَرْبِيَةِ أَوْلَادِهِنَّ وَرِعَايَتِهِنَّ.
لَكِنِّي لَمْ أَرَبِّ وَلَدِي لِيُصْبِحَ مُهَنْدِسًا، بَلْ رَبَّيْتُهُ
لِيَعْدُوَ فَقِيهًا وَدَاعِيًا مُقَاوِمًا وَمُجَاهِدًا فَاعِلًا،
قَادِرًا عَلَى أَدَاءِ وَاجِبِهِ الْجِهَادِيِّ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِهِ.
فَمُنْذُ نُعُومَةِ أَظْفَارِهِ عَلَّمْتُهُ حُبَّ الْوَطَنِ وَالدِّينِ، وَحُبَّ
فِلَسْطِينَ مِنْ قُدْسِهَا إِلَى أَقْصَاهَا، وَمِنْ بَحْرِهَا إِلَى نَهْرِهَا، وَحُبَّ
الدِّينِ الْحَقِّ، دِينَ اللَّهِ الَّذِي يُمَثِّلُ الْجِهَادَ ذُرْوَةَ سَنَامِهِ، لِذَلِكَ

زَرَعْتُ فِي عَقْلِهِ وَقَلْبِهِ الْعَقِيدَةَ الْقِسَامِيَّةَ الْجِهَادِيَّةَ^(٢)،
حَتَّى لَا يُخْطِئَ الطَّرِيقَ وَالْهَدَفَ، وَيُدْرِكُ كَيْفِيَّةَ التَّعَامُلِ
مَعَ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ وَالْمُعْتَدِينَ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِهِ ،
وَالْمُحْتَلِّينَ لِأَرْضِهِ وَالْمُدْنَسِينَ لِقُدْسِهِ وَأَقْصَاهُ.
وَعِنْدَمَا أَصْبَحَ مِنَ الْمُسْلِمِ بِهِ لَدِي وَلَدَى وَلَدِي أَحْمَدُ أَنْ
الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عِبْرَ اسْتِخْدَامِ الْقُوَّةِ الْمُسَلَّحَةِ لَيْسَ مِنَ
الْمَبَادِئِ الَّتِي أُسِّسَ عَلَيْهَا الْإِسْلَامُ، فَهُوَ لَيْسَ أَصْلًا مِنَ
الْأُصُولِ الَّتِي لَا بُدَّ مِنْهَا لِلْعَقِيدَةِ أَوْ الْعِبَادَةِ أَوْ الْمُعَامَلَةِ، إِنَّمَا
هُوَ مَبْدَأُ الضَّرُورَةِ مِنْ أَجْلِ حِمَايَةِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْكَلِمَةِ
الْإِسْلَامِيَّةِ، وَالْأَرْضِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْجَمَاعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، مِثْلَهُ مِثْلُ
الْقِصَاصِ وَالْحُدُودِ وَالتَّعَاذِيرِ، إِنْ وُجِدَتْ أَسْبَابُهَا وَجَبَتْ وَإِلَّا
فَلَا.

^٢ (العقيدة القسامية الجهادية) هو عنوان لكتاب ألفه الكاتب عبد الله البرغوثي من أجل تبيان حقيقة العمل الجهادي بشكل واقعي وصحيح.

فَالْمُسْلِمُ الْحَقُّ يَعْلَمُ عِلْمَ الْيَقِينِ أَنَّ جِهَادَهُ وَاجِبٌ لِرَدِّ
 أَعْدَائِهِ، وَيَعْلَمُ أَنَّ الدَّعْوَةَ إِلَى الْإِسْلَامِ بَدَأَتْ هَادِنَةً لَيِّنَةً،
 مُسَالِمَةً وَمُهَادِنَةً إِلَى أْبْعَدِ الْحُدُودِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي جَوْهَرِهَا وَلَا فِي
 أَهْدَافِهَا مَا يُخَالِفُ أَوْ يُزَعِّجُ أَوْ يَتَنَافَى مَعَ الْعَقْلِ السَّلِيمِ الَّذِي
 خُلِقَ عَلَى الْفِطْرَةِ السَّلِيمَةِ، بَلْ كَانَتْ دَعْوَةً إِلَى التَّعَالَى
 بِالْإِنْسَانِ فِكْرِيًّا وَرُوحِيًّا وَوَجْدَانِيًّا عَلَى أَسَاسِ يَقَوْمَ عَلَى عِبَادَةِ
 اللَّهِ وَحْدَهُ دُونَ شَرِيكَ أَوْ وَسِيْطٍ، كَمَا كَانَتْ دَعْوَةً إِلَى الْحُرِّيَّةِ
 وَالْعِزَّةِ وَالْإِخَاءِ وَالْعَدْلِ وَالْمُسَاوَاةِ، وَهَزَّتِ الْمَشَاعِرَ الْحَيَّةَ
 السَّلِيمَةَ بِمَا حَمَلَتْهُ مِنْ مَبَادِي الرِّحْمَةِ وَالْإِحْسَانِ وَالنَّطَهْرِ مِمَّا
 يُدْنِي حَيَاةَ الْإِنْسَانِ أَوْ يُشْقِيهَا أَوْ يَسْتَعْبِدُهَا لِغَيْرِ خَالِقِهَا
 وَبَارِيهَا.

لَقَدْ أَصْبَحَ مِنَ الرَّاسِخِ فِي عَقْلِ وَوَلَدِي وَفَلَذَةَ كَبِدِي أَحْمَدَ
 وَفِي عَقُولِ كُلِّ مَنْ دَرَسْتُهُمُ الْعَقِيدَةَ الْجِهَادِيَّةَ الْقَسَامِيَّةَ _الَّتِي
 قَامَ عَلَيْهَا مَشْرُوعِي الْجِهَادِيِّ الْمُقَاوِمِ_ أَنَّنِي عِنْدَمَا أُطَالِبُهُمْ بِأَنْ
 يَهْبُوا لِلْجِهَادِ وَاسْتَعْمَالِ الْقُوَّةِ إِنَّمَا أُطَالِبُهُمْ بِذَلِكَ مِنْ أَجْلِ الدَّفَاعِ

عَنْ أَنْفُسِهِمْ ضِدَّ الْمُعْتَدِينَ وَالْجَبَابِرَةَ وَوُحُوشِ الْإِزْهَابِ الصَّهَابِيَّةِ
الْمُجْرِمِينَ، وَعَبِيدِ التَّنْسِيقِ الْأَمْنِيِّ الْأَوْسُلُوبِيِّ الْمُنْسَاقِينَ . . .

وَأَطَالِبُهُمْ بِذَلِكَ أَيْضًا مِنْ أَجْلِ إِيجَادِ الْجَوِّ الْأَمِينِ وَالْبَيْئَةِ
الْمُسَالِمَةِ الصَّالِحَةِ لِعَرَسِ رُوحِ الْإِخَاءِ وَالْعَدْلِ وَالْقِيَمِ الْإِسْلَامِيَّةِ
السَّامِيَّةِ.

لِذَلِكَ فَهُمْ مُلْزَمُونَ عِنْدَ قِيَامِهِمْ بِوَاجِبِهِمُ الْجِهَادِيِّ بِيَدِي اللَّهِ،
وَأَقْفِينَ عِنْدَ حُدُودِهِ فِي كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ،
فَالْمُجَاهِدُونَ الْقَسَامِيُّونَ يُجَاهِدُونَ وَهُمْ سَائِرُونَ عَلَى
طَرِيقِ اللَّهِ وَسَبِيلِهِ لَا يَنْحَرِفُونَ وَلَا يَزِيغُونَ عَنْهُ أَبَدًا.
فَأَنَا يَا بَنَاتِي الْأَسِيرَاتِ الْحَرَائِرِ، قَبْلَ أَنْ أَصْبِحَ مُعَلِّمَةً لِعُلُومِ
الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَأَيَاتِهِ، وَالْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ، فِي بَاحَاتِ الْمَسْجِدِ
الْأَقْصَى وَأَرْوَاقَتِهِ، كُنْتُ دُكْتُورَةً وَمُحَاضِرَةً فِي كَلِيَّةِ أُصُولِ
الدِّينِ فِي إِحْدَى الْجَامِعَاتِ الْفِلَسْطِينِيَّةِ، وَالتِّي لِالْأَسَفِ مَا
عَادَتْ تَمُتُ لِفِلَسْطِينَ وَالْفِلَسْطِينِيِّينَ بِصِلَةٍ؛ مُنْذُ أَنْ تَسَلَّمَ زِمَامُ
أَمْرِهَا عُمَلَاءُ أَوْسُلُو، الَّذِينَ عَاثُوا بِفِلَسْطِينَ فَسَادًا وَإِفْسَادًا
عِنْدَمَا اسْتَعَانَ الصَّهَابِيَّةُ بِهِمْ لِلْقَضَاءِ عَلَى اثْتِيفَاضَةِ الْحِجَارَةِ

الأولى وانتفاضة الأقصى وهامم اليوم يستغيثون بهم لوأد
انتفاضة القدس عاصمة فلسطين الأبدية.

لَقَدْ تَمَكَّنَ الْأَوْسَلَوِيُّونَ مِنْ قَتْلِ الْإِنْتِفَاضَتَيْنِ عَبْرَ عَمَلَتِهِمْ
الْأَمْنِيَّةِ وَمَوَالَاتِهِمْ لِأَسْيَادِهِمُ الْمُحْتَلِّينَ، وَلَقَدْ تَمَادَوْا بِذَلِكَ أَكْثَرَ
وَأَكْثَرَ فَقَدْ حَوَّلُوا عَمَلَتَهُمُ الْأَمْنِيَّةَ إِلَى عِمَالَةٍ فِكْرِيَّةٍ وَعَقَائِدِيَّةٍ،
عِنْدَمَا ارْتَضَوْا لِأَنْفُسِهِمْ أَنْ يُحَارِبُوا كُلَّ مَا
يَمْتَّ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ بِصِلَةٍ، فَأَعْلَنُواهَا
جِهَارًا نَهَارًا حَرْبًا عَلَى اللَّهِ وَكُلِّ مَنْ وَالَاهُ؛ فَقَامُوا بِطَرْدِ الْأَيْمَةِ
وَالدُّعَاةِ مِنَ الْمَسَاجِدِ وَالْمَدَارِسِ وَالْجَامِعَاتِ، وَاسْتَبَدَّلُوا بِهِمْ
الْأَيْمَةَ الَّذِينَ خَانُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ عِنْدَمَا ارْتَضَوْا لِأَنْفُسِهِمْ أَنْ
يَكُونُوا (غَرْقَدًا بَشْرِيًّا). الْحَدِيثُ النَّبَوِيُّ الشَّرِيفُ: عَنْ أَبِي
هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: « لَا
تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ
حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ
أَوْ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ
فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرْقُدُ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ » (رواه مُسْلِمٌ)

لَقَدْ عَمِلَ غِرَاقِدَةٌ أُوسَلُو بِكُلِّ مَا آتَاهُمُ الشَّيْطَانُ مِنْ حُبِّ
 وَمَكْرِ عَلَى التَّضْيِيقِ عَلَيَّ، ثُمَّ مَا لَبِثُوا أَنْ طَرَدُونِي مِنْ عَمَلِي
 فِي الْجَامِعَةِ، وَمَنْعُونِي وَفَقَ قَانُونِهِمُ الَّذِي صَاغُوهُ بِقُوَّةِ الْبَطْشِ
 وَالطُّغْيَانِ الْعَسْكَرِيِّ وَالْأَمْنِيِّ مِنَ التَّدْرِيسِ بِأَيِّ مِنَ الْجَامِعَاتِ
 الْفِلَسْطِينِيَّةِ، لِذَلِكَ تَوَجَّهْتُ إِلَى بَاحَاتِ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى وَأَرْوَقَتِهِ
 وَمَسَاطِبِهِ، حَيْثُ كَانَ زَوْجِي الشَّهِيدُ يَدْرُسُ هُنَاكَ.
 فَحَلَلْتُ مَكَانَهُ وَعَمِلْتُ عَلَى تَدْرِيسِ عُلُومِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مُحَرِّضَةً
 النِّسَاءَ عَلَى تَرْبِيَةِ أَبْنَائِهِنَّ عَلَى حُبِّ الشَّهَادَةِ وَالْمُقَاوَمَةِ وَالْفِدَاءِ؛
 بَعْدَ أَنْ بَيَّنَّتْ لَهُنَّ الْأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ الَّتِي تَحُضُّ عَلَى الْوُقُوفِ
 بِوَجْهِ الْإِحْتِلَالِ الصَّهْيُونِيِّ وَبِوَجْهِ الْإِنْجَالِ الْأُوسْلُويِّ
 الْعَرَقْدِيِّ.

وَمَا هِيَ إِلَّا بِضْعِ أَعْوَامٍ حَتَّى كَشَفَ الصَّهَابِيُّهُ أَمْرِي، بَعْدَ
 أَنْ تَحَوَّلَتْ كَلِمَاتِي إِلَى أفعالٍ حَقِيقِيَّةٍ عَلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ،
 بِفِعْلِ وُلْدِي أَحْمَدَ وَإِخْوَانِهِ الْمُقَاوِمِينَ، الَّذِينَ حُمِّلُوا أَمَانَةَ إِنْفَازِ
 مَشْرُوعِي الْمُقَاوِمِ، وَعِنْدَهَا تَمَّ اعْتِقَالِي وَالرُّجُوبِي
 حَلَفَ أَسْوَارِ هَذَا السِّجْنِ وَالْمَحْبَسِ حَتَّى يَمْنَعُونِي

مِنْ مُوَاصَلَةِ عَمَلِي الْجِهَادِيَّ الدَّعْوِيَّ الْعَلَنِيَّ وَالسِّرِّيَّ، وَعَمَلِي
 الْجِهَادِيَّ الَّذِي أَعْتَذِرُ مِنْكَ عَنْ عَدَمِ حَدِيثِي لَكُنْ عَنْهُ.
 فِي تِلْكَ الْأَثْنَاءِ كَانَ قَدْ مَضَى عَلَى مُطَارَدَةِ ابْنِي أَحْمَدَ مِنْ
 قَبْلِ بَنِي صَهْبِيُونَ وَبَنِي الْعَرْقَدِ نَحْوَ أَرْبَعَةِ أَعْوَامٍ، أَمْضَاهَا
 مُطَارَدًا مِنْهُمْ، وَمُطَارِدًا لَهُمْ، حَيْثُ وَاصَلَ عَمَلُهُ الْجِهَادِيَّ
 الْمُسَلَّحَ ضِدَّهُمْ فَأَنْخَنَ فِيهِمْ وَأَدْمَاهُمْ الْمَرَّةَ تِلْوَ الْمَرَّةِ، حَتَّى قَدَّرَ
 اللَّهُ لَهُ أَنْ يُصَابَ فِي إِحْدَى الْمُهْمَاتِ الْجِهَادِيَّةِ،
 الَّتِي كَانَ يُؤَدِّيهَا حَيْثُ تَمَّ اعْتِقَالُهُ عَلَى إِثْرِ تِلْكَ الْإِصَابَةِ،
 الَّتِي كَادَتْ أَنْ تُودِيَ بِحَيَاتِهِ وَبِأَلْبَتِهَا فَتَلَّنُهُ لَكَانَ نَالَ الشَّهَادَةَ
 الَّتِي تَمَنَّاها لِيَرْتَقِيَ إِلَى جَنَّاتِ النَّعِيمِ عِنْدَ رَبِّهِ وَمَوْلَاهُ، وَالِي
 جِوَارِ وَالِدِهِ الَّذِي سَبَقَهُ بِالشَّهَادَةِ كَمَا الْعِيَّاشُ وَالْيَاسِينُ
 وَالرُّنَيْسِيُّ وَالْجَعْبَرِيُّ وَعَظِيرُهُمْ مِنْ شُهَدَاءِ الْوَاجِبِ الْمُقَدَّسِ.
 لَكِنَّهَا مَشِيئَةُ اللَّهِ الَّتِي قَدَّرَهَا لَهُ، فَكَانَ الْأَسْرُ بَدَلَ الشَّهَادَةِ،
 فَلَعَلَّ فِي عُمُرِهِ وَعُمْرِي بَاقِي أَيَّامٍ أَوْ أَعْوَامٍ نَقْضِيهَا فِي مِيَادِينِ
 الْجِهَادِ وَالْمُقَاوَمَةِ، رُغْمَ السَّجْنِ وَالسَّجَانِ وَرُغْمَ الْقَيْدِ وَالسَّلَاسِلِ
 وَالْأَغْلَالِ.

تِلْكَ حِكَايَةُ مَشْرُوعِي الْمُقَاوِمِ الَّذِي كَانَ؛ أَمَّا الَّذِي سَيَكُونُ
فَسَتَكُنُّ أَنْتَنَ عِمَادُهُ عِبْرَ تَعْلِيمِكُنَّ أُصُولِ بَيْنِنَا الْإِسْلَامِيِّ
وَدُرُوسِ الْعِزَّةِ وَالْإِبَاءِ، فَكَمَا هُنَاكَ مُجَاهِدُونَ، هُنَاكَ مُجَاهِدَاتٌ،
حَمَلْنَ عَلَى عَاتِقِهِنَّ هَمَّ الْقَضِيَّةِ وَقَدَيْبِنَهَا بِأَعْمَارِهِنَّ وَأَرْوَاحِهِنَّ.
وَالآنَ اسْمِحْنِي لِي أَنْ أَتْرُكَ الْحَدِيثَ وَأَصْمِتَ حَتَّى أُتِيحَ الْمَجَالَ
لِنَتَحَدَّثَ إِلَيْكُنَّ أَصْغَرُكُنَّ عَمْرًا وَأَكْبَرُكُنَّ عَقْلًا.

الفصل السابع

صَغِيرَةُ العُمُرِ كَبِيرَةُ العَقْلِ

أَصْعَرُكُنَّ عُمُرًا وَأَكْبَرُكُنَّ عَقْلًا... تِلْكَ هِيَ أَنَا لِذَلِكَ أَبَدًا
حَدِيثِي مَعَكُنَّ مِنْ حَيْثُ انْتَهَتْ (مَرْيُوم)، أَوْ الدَّكْتُورَةُ مَرْيَمُ أَوْ
أُمُّ أَحْمَدِ _ كَمَا تَفْضِلُنَّ مُنَادَاتِهَا وَمُخَاطَبَتِهَا _ فَأَنَا أَكْبَرُكُنَّ عَقْلًا
حَسَبَ مَا قَالَتْهُ (مَرْيُوم)، وَحَسَبَ مَا أَرَاهُ أَنَا أَيْضًا،
لِذَلِكَ اتْرُكُنَّ عُقْدَةَ العُبُوسِ الَّتِي تَعْلُو جِبَاهُكُنَّ،
وَأَطْلِفِي العَنَانَ لِعَمْرَاتِ الضَّحِكِ وَالْفَرَحِ لِتَرْتَسِمَ عَلَيَّ وَجَنَاتِكُنَّ،
فَلَا لِلْعُبُوسِ وَالْحُزْنِ، وَلَا وَالْفُ لَ لِلسَّجْنِ وَالسَّجَانِ، وَنَعْمَ
لِلابْتِسَامَةِ وَالْفَرَحَةِ وَالْحُرِّيَةِ وَالْإِنْتِصَارِ، تَمَامًا كَمَا انْتَصَرْتُ
أَخْتُكُنَّ أَحْلَامُ التَّمِيمِي الَّتِي مَكَّنَهَا اللهُ _ عَزَّ وَجَلَّ _ مِنْ حَصْدِ
أَرْوَاحِ عَشْرَاتِ الصَّهَابِيَّةِ فِي إِحْدَى أَرْوَاحِ العَمَلِيَّاتِ
الاسْتِشْهَادِيَّةِ الَّتِي أَدَارَتْهَا مُجَاهِدَةٌ فِي تَارِيخِ فِلَسْطِينِ.
أَحْلَامُ الَّتِي خَطَّطَتْ وَأَعَدَّتْ وَاسْتَعَدَّتْ وَنَفَّذَتْ، وَقَدَّرَ اللهُ لَهَا
أَنْ تُعْتَقَلَ فَحَكَمَ عَلَيْهَا الصَّهَابِيَّةُ بِتِسْعَةِ عَشَرَ مُؤَبَّدًا، فَمَا كَانَ

مِنْ رِجَالِ الْقَسَامِ إِلَّا أَنْ خَطَّطُوا وَأَعَدُّوا وَاسْتَعَدُّوا ثُمَّ أَسْرَوْا
جُنْدِيًّا مِنْ جَوْفِ دَبَابْتِهِ، وَتَمَكَّنُوا بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ إِخْضَاعِ
الصَّهَابِيَّةِ، وَإِجْبَارِهِمْ عَلَى تَنْفِيذِ عَمَلِيَّةِ تَبَادُلٍ لِلْأَسْرَى، حَرَّرُوا
مِنْ خِلَالِهَا أُخْتَهُمْ أَحْلَامَ وَكَافَّةَ الْأَسِيرَاتِ، بَلْ وَزَادُوا عَلَى ذَلِكَ
بَأَنْ حَرَّرُوا أَكْثَرَ مِنْ أَلْفِ أَسِيرٍ مِنْ جَوْفِ سُجُونِ بَنِي
صُهَيْبُونَ. وَهَا هِيَ عَجَلَةُ الْإِنْتِفَاضَةِ تَدُورُ مَرَّةً أُخْرَى مُعْلَنَةً
انْتِطَاقَ انْتِفَاضَةِ حَرَائِرِ الْقُدْسِ مِمَّا أَدَّى إِلَى أَنْ تَمْتَلِيَّ
السُّجُونَ الصَّهْيُونِيَّةَ بِالْأَسْرَى وَالْأَسِيرَاتِ مِنْ جَدِيدٍ، فَهَا أَنْتَنَ
خَلْفَ أَسْوَارِ السَّجَنِ قَدْ عَدَوْتُنَّ؛ مِنْكَ مَنْ قَاوَمْتَ، وَمَنْ
خَطَّطْتَ، وَمَنْ طَوَّرِدْتَ، وَمِنْكَ مَنْ قَتَلْتَ مِنَ الصَّهَابِيَّةِ مَا
قَتَلْتَ، وَجَرَحْتَ مِنْهُمْ مَا جَرَحْتَ، وَمِنْكَ مَنْ تَمَّ اعْتِقَالُهَا بِلَا
ذَنْبٍ أَوْ سَبَبٍ سِوَى أَنَّهَا مِنْ بَنَاتِ هَذِهِ الْأَرْضِ الْمُبَارَكَةِ،
وَهُنَاكَ مَنْ تَمَّ اعْتِقَالُهَا لِكَيْ أَقُومَ أَنَا أَكْبُرُكُنَّ عَقْلًا بِإِعَادَةِ
بِرْمَجَةِ عَقْلِهَا مِنْ جَدِيدٍ، وَذَلِكَ كَيْ يُصْبِحَنَّ مِمَّنْ يُحَطِّطَنَّ
وَيُفَقِّدَنَّ ... فَيَنْتَصِرَنَّ أَوْ يَسْتَشْهَدَنَّ؛ فَأَنَا لَا أُرِيدُ أَنْ أَرَى أَيًّا
مِنْكَ خَلْفَ أَسْوَارِ هَذَا السَّجَنِ، فَأَنْتَنَ مَشْرُوعُ مَقَاوِمَاتِ

وهنا أقول لكنَّ وكما سبقَ لِرجالِ القَسَامِ أَنْ أَسْرُوا
جُنْدِيًّا فَحَرَّرُوا الحُرَّةَ أَحلامَ، ها هُم يُعيدونَ الكَرَّةَ أقوى
وأكبرَ بِعَوْنِ اللهِ فَأَسْرُوا جُنْدِيًّا وضابِطًا وأكثرَ ...
لذلكَ فَمَسْأَلَةُ تحْرِيرِكَنَّ أَيُّهَا العائِساتُ البائِساتُ مَسْأَلَةٌ وَقْتٍ لا
أكثرَ ولا أقلَّ _بإِذْنِ مَنْ رَفَعَ السَّمَاءَ وَبَسَطَ الأَرْضَ_.
في تلكَ اللَّحْظاتِ عَمَّتْ ضَحِكاتُ الأَسيراتِ جَنِّباتِ
الرِّزْزانيةِ، فَأَشْرَقَتْ شَمْسُهُنَّ وَأَنارَ بَدْرُهُنَّ بِهَجَّةٍ، بَعْدَما كانَ
العَمامُ يُلبِّدُ سَماءَهُنَّ كَبَبًا وقَهْرًا، فَمَما كانَ مِنِّي إِلاَّ أَنْ ضَحِكْتُ
أنا الأُخرى، على ما بي مِن بَقايا أَلَمِ أَلَمِ بِجَسَدِي الَّذِي أَدماهُ
الصَّهائِنَةُ بِرِصاصِ حِفْذِهِمُ الأَسودِ ... وَبِرَعْمِ ما بي مِن أَلَمِ
نَفْسِي حَلَّقَتُهُ أَيَّامُ الأَسْرِ الأوْلى خَلَفَ أَسوارِ هذا السِّجَنِ
المَقْبِيتِ والمُمِيتِ، إِلاَّ أَنَّ ما قالَتْهُ تِلْكَ الفَتاةُ والتي بالكادِ تَجارَوْزَ
عُمْرُها الثَّمانِيَةَ عَشَرَ عامًا، والتي كانَتْ تَتَحَدَّثُ بِلُغَةٍ نَتَمُّ عَنْ
فِكْرِها النَّاضِجِ وَعَقْلِها الرَّاجِحِ، جَعَلَنِي أَنْسى كُلَّ ما بي مِن أَلَمِ
جَسَدِي وَنَفْسِي وَأَتَوَجَّهَ لها بِسُؤالٍ يَنُمُّ عن اسْتِغْرابِي لِمَدَى

فَطَنَّتْهَا فَقَلْتُ لَهَا: وَكَيْفَ لِمَنْ هِيَ بِمِثْلِ عُمْرِكَ
 أَنْ تَمْتَلِكَ هَذَا الْفِكْرَ النَّاضِجَ وَالْعَقْلَ الرَّاجِحَ ؟؟؟ ...
 بَلْ كَيْفَ لَهَا أَنْ تَكُونَ أَكْثَرْنَا نَكَاءً وَأَكْبَرْنَا عَقْلاً؟؟
 فَأَجَابَتْ قَائِلَةً وَدُونَ مُقَدِّمَاتٍ أَوْ تَمْهِيدٍ:
 " وَرُودُ الْقَادِمَةِ الْجَدِيدَةِ مِنْ أَحْضَانِ حَدِيقَةِ الْحُرِّيَةِ الْمَلِيئَةِ
 بِالْأَزْهَارِ وَالْأَشْوَاكِ كَمْ مِنَ الْمُحْتَلِّينَ قَتَلَتْ؟؟ صِفْراً... وَأَنْتِ
 يَا فِلَسْطِينُ كَمْ حَصَدْتِ؟؟... وَاحِدًا ... وَأَنْتِ اثْنَيْنِ ... وَتِلْكَ
 عَشْرَةٌ ... ثُمَّ مَاذَا؟؟ .. ثُمَّ التَّوَقُّفُ وَالْإِنْكَفَاءُ بِسَبَبِ الْإِعْتِقَالِ
 وَالْأَسْرِ، أَمَّا الدُّكْتُورَةُ مَرْيَمُ فَهِيَ دَاعِيَةٌ مُحَرِّضَةٌ، وَمَرْيَمَةُ
 مُحَفِّزَةٌ، وَأَم رَيْتُ ابْنَهَا عَلَى الْمُقَاوِمَةِ فَقَاوَمَ وَقَتَلَ مِنَ الْمُحْتَلِّينَ
 مَا قَتَلَ، وَبِرْغَمِ وَفُوعِهَا بِالْأَسْرِ إِلَّا أَنَّهَا سَوَفَ تُوَصِّلُ عَمَلَهَا
 الْجِهَادِيَّ وَالْمُقَاوِمَ بِشَتَّى الْوَسَائِلِ وَالسُّبُلِ ... أَلَيْسَ كَذَلِكَ يَا
 مَرْيَمُ الْمُسَاكِسَةَ؟! "

وهنا عاودت الأسيرات الضحك من جديد، فكيف لهذه
 الفتاة بل كيف لهذه الطفلة أن تُخاطبَ أمَّ أحمدَ هكذا ببساطةٍ
 وبلا تكلفٍ وتناديها "بِمَرْيَمِ" بدلَ الدُّكْتُورَةِ مَرْيَمِ؟! وكيف لها

أَنْ تَصِفَهَا بِالْمُشَاكِسَةِ بَدَلَ الْحَاجَّةِ؟ ... لَكِنِّي وَجَّهْتُ لَهَا سُؤَالَ
آخَرَ قَبْلَ أَنْ تُجِيبَ عَلَي سُؤَالِي الْأَوَّلِ حَيْثُ قُلْتُ: " وَكَيْفَ
لَأَكْبِرُنَا عَقْلًا أَنْ تُخَاطِبَ أَكْبَرَنَا عُمَرًا وَمِقْدَارًا هَكَذَا؟! ".
وَقَبْلَ أَنْ أَكْمِلَ جُمْلَتِي قَاطَعْتَنِي ضَاحِكَةً وَقَالَتْ:
" يَحِقُّ لِمَرْيَمَ أَنْ تُخَاطِبَ مَرْيَمَ كَمَا تَشَاءُ،
فَهِيَ اسْمُهَا مَرْيَمَ وَأَنَا اسْمِي مَرْيَمَ لِأَنَّ وَالِدَتِي رَحِمَةُ اللَّهِ
عَلَيْهَا_ أَسَمَّتَنِي بِهَذَا الْاسْمِ تَيَّمَنًا وَحُبًّا بِأَخْتِهَا الْكُبْرَى الدَّكْتُورَةُ
مَرْيَمَ... فَوَالِدَتِي قَدْ تَوَقَّأَهَا اللَّهُ أَتْنَاءَ وِلَادَتِهَا لِي لِذَلِكَ أَضَحَّتْ
خَالَتِي مَرْيَمَ مُنْذُ ذَلِكَ الْحِينِ وَالِدَتِي وَكُلُّ دُنْيَايَ.
فَمُنْذُ أَنْ انْشَغَلَ الْمُشَيِّعُونَ بِوَالِدَتِي ...
فَكَفَّنُوهَا ثُمَّ فِي الْقَبْرِ دَفَنُوهَا... ثُمَّ فَتَحُوا لَهَا بَيْتًا لِلْعَزَاءِ وَالْحُزْنِ
وَالْبُكَاءِ انْشَغَلَتْ خَالَتِي الْحَزِينَةُ عَلَى وَفَاةِ شَقِيقَتَيْهَا بِي،
فَكَفَّلَتْنِي وَقَمَّطَتْنِي^(٣) وَعِنْدَهَا شَعْرَتُ بِالْدَفْعِ وَالْأَمَانِ، وَقَدْ زَادَ
ذَلِكَ الشُّعُورَ عِنْدَمَا فَتَحَتْ لِي صَدْرَهَا الْحَانِي كَمَا لَوْ أَنَّهَا

فَكَفَّلَتْنِي وَقَمَّطَتْنِي: التكفيل والتقميط: هما كناية عن لف الطفل الرضيع بقطعة من القماش القطني الأبيض بشكل محكم مما يسهل التعامل مع الرضيع كحمله ورفعته وغير ذلك.

والدتي وأكثر؛ لذلك لمريوم الصغيرة والمشاكسة
 أن تخاطب مريوم الكبيرة والطيبة بأحبّ الأسماء عندها ...
 ألمّ يُعلمنا رسولنا الكريم بأنّ تُنادي الناس
 وتُخاطبهم بأحبّ الأسماء إلى قلوبهم يا ورود الوردة؟! .
 وبالعودة إلى سؤالك الأول حيثُ قلت كيف لمنّ بمثل
 عمري الصغير أن تكون أكبرك عَقلاً؟! أقول:
 من الواضح والجليّ أنّ أختنا ورود لم تكن
 ممن يتابعون نشرات الأخبار وتحديداً تلك
 التي تتحدث عن فعاليات الانتفاضة وأحداثها، فلو كانت غير
 ذلك ما فاتها سماع خبر اعتقال قوات الأمن الصهيونية الفتاة
 التي تمكّنت عبر موقعها الإلكتروني من إدارة إحدى أهمّ
 حملات التحريض والحض على مقاومة الاحتلال.
 فكان من أثر حملتها أن حفّزت العديد من أحرار فلسطين
 وحرارتها على الانخراط في فعاليات الانتفاضة على اختلافها
 ... فهذا رابط واعتصم في باحات الأقصى المبارك من أجل
 التصدي للمفتحمين والمدنسين اليهود، وذلك هتف في مسيرة

أَوْ مُظَاهِرَةً ضِدَّ الْإِرْهَابِ الصُّهْيُونِيِّ... وَمِنْهُمْ مَنْ أَلْقَى حَجْرًا
 أَوْ رُجَاجَةً حَارِقَةً بِاتِّجَاهِ مَنْ نَهَبُوا حَجْرَهُ وَأَرْضَهُ وَحَرَقُوا شَجْرَهُ
 وَبَيْتَهُ... وَمِنْهُمْ أَيْضًا مَنْ اسْتَلَّ سِكِّينَهُ فَطَعَنَ بِهَا وَأَدْمَى،
 وَمِنْهُمْ مَنْ امْتَشَقَ بُنْدُوقِيَّتَهُ فَأَطْلَقَ مِنْهَا الرَّصَاصَ نَحْوَ
 الْمُسْتَوْطِنِينَ وَالْمُحْتَلِينَ فَفَقِلَّ... وَفُقِلَّ؛ وَهُنَاكَ أَيْضًا مِنْ وَجْهِ
 عَمَلِهِ ضِدَّ سُلْطَةِ أَوْسَلُو... سُلْطَةِ عُمَلَاءِ التَّنْسِيقِ الْأَمْنِيِّ...
 سُلْطَةِ السُّنْدَانِ الْأَوْسَلِيِّ الَّذِي صُلِبَ أَبْنَاءُ فِلَسْطِينَ عَلَيْهِ حَتَّى
 يُطْرَقُوا بِمَطْرَقَةِ الصَّهَائِيَّةِ؛ وَحَتَّى نُصَبَّ عَلَيْهِمْ نِيرَانُ حِفْذِهِمْ
 الدَّامِي.

وَرُودٌ يَجِبُ أَنْ تَعْلَمِي أَنِّي لَمْ أَكْتَفِ بِالِاخْتِبَاءِ خَلْفَ شَاشَةِ
 الْحَاسُوبِ وَلَوْحَةِ مَفَاتِيحِهِ حَتَّى لَا يَتِمَّكَنَ الْمُحْتَلُونَ وَأَجْهَزَتُهُمْ
 الْأَمْنِيَّةُ مِنَ الْوُصُولِ لِي أَتْنَاءَ مُمَارَسَتِي لِلْفِرْصَنَةِ الْإِلِكْتُرُونِيَّةِ،
 الَّتِي هَزَّتْ ثُمَّ حَطَّمَتْ نَظْرِيَّةَ الْأَمْنِ الْإِلِكْتُرُونِيِّ لَدَيْهِمْ، حَيْثُ
 عَمِلْتُ عَلَى اخْتِرَاقِ الْمَوَاقِعِ الصُّهْيُونِيَّةِ عَلَى اخْتِلَافِهَا مِمَّا
 تَسَبَّبَ لَهُمْ بِأَضْرَارٍ شَتَّى؛ بَلْ إِنِّي اخْتَبَأْتُ خَلْفَ دَوَالِيبِ
 السَّيَّارَاتِ الَّتِي أُحْرِفُهَا حَتَّى يَتَدَارَى خَلْفَهَا الْمُنْتَفِضُونَ

والمُنْتَفِضَات، ومُفَوِّحِ الْجَارَةِ وَالزُّجَاجَاتِ الْحَارِقَةِ، عِنْدَمَا كُنْتُ
 بَيْنَهُمْ فِي الْمِيَادِينِ وَالشُّوَارِعِ، وَلَمْ أَكْتَفِ بِصِنَاعَةِ الْمَقَاطِعِ
 التَّحْرِيبِيَّةِ عَلَى الشَّبَكَةِ العَنكَبُوتِيَّةِ، بَلْ عَمِلْتُ مَعَ صِغَرِ سِنِّي
 وَقِلَّةِ خِبْرَتِي عَلَى صِنَاعَةِ عَدِدٍ مِنَ العُبُوتِ النَّاسِفَةِ الْمُتَوَاضِعَةِ
 جِدًّا مِنْ أَجْلِ أَنْ أَعْرِفَ بِهَا عَلَى أَلْحَانِ الانْتِفَاضَةِ؛
 حَالِي كَحَالِ المُهَنْدِسِينَ صَانِعِي العُبُوتِ النَّاسِفَةِ
 الَّذِينَ عَدُوا شُهَدَاءَ عِنْدَ رَبِّهِمْ بَعْدَ أَنْ أَدَّوْا وَاجِبَهُمُ الجِهَادِي
 عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِهِ أَوْ الَّذِينَ أُسِرُوا؛ هَوْلَاءِ الْقَامَاتِ
 وَالهِامَاتِ الَّذِينَ قَلَّمَا نَجِدُ لَهُمْ وَرَثَةً يَسِيرُونَ عَلَى دَرَبِهِمْ فِي
 أَيَّامِنَا هَذِهِ فِي أَرْجَاءِ الضَّفَّةِ وَالقُدْسِ وَالذَّاخِلِ الفِلَسْطِينِي، سِوَانَا
 نَحْنُ فَنَاتِ الْانْتِفَاضَةِ ... نَحْنُ حَرَائِرُ القُدْسِ.
 لَقَدْ حَاوَلْتُ يَا وُرُودُ أَنْ أَتَجَاوَزَ الوَاقِعَ الفِلَسْطِينِي الصَّعْبَ
 وَمَا بِهِ مِنْ عَقَبَاتٍ.. مِنْ خِلَالِ اتِّبَاعِي لخطواتِ
 الفَتَاةِ الأَسْطُورَةِ "مَلَائِكَةُ المُهَنْدِسَةِ"^(٤) الَّتِي تَحَوَّلَتْ مِنْ مُجَرَّدِ

^٤ ملاك المهندسة: هي بطلنة رواية تحت عنوان (المهندسة ... ملاك الرحمة) للكاتب عبد الله البرغوثي جسد حلالها ملحمة بطولية لفتاة مهندسة اسمها ملاك ... فتاة أشجع من كل الرجال.

طَبِيبَةٌ مُدَاوِيَةٌ وَمُعَالِجَةٌ وَمَلَاكًا لِلرَّحْمَةِ،
 إِلَى مُهَنْدِسَةٍ مُفَجَّرَةٍ وَمُقَاتِلَةٍ شَرِسَةٍ وَوَارِثَةٍ لِنَهْجِ الْعِيَّاشِ، عِنْدَمَا
 أَيْقَنْتَ أَنَّ لِعِيَّاشِ الْمُهَنْدِسِ الْفَضْلُ بَعْدَ اللَّهِ فِي تَغْيِيرِ الْوَاقِعِ
 الْمَرِيرِ وَلَجْمِ بَنِي صُهَيْبٍ وَكَسْرِ هَيْبَتِهِمْ.
 هَذَا الْوَاقِعُ الَّذِي سَعَتْ الْمَنْظُومَةُ الصُّهُيْبُونِيَّةُ إِلَى إِعَادَتِهِ
 كَمَا كَانَ فِي السَّابِقِ، بِمُعَاوَنَةِ عِصَابَاتِ أَوْسَلُو اللَّعِينَةِ، وَمَا
 عَادَ هُنَاكَ مِنْ وَرَثَةٍ وَلَا تَلَامِيذٍ إِلَّا هُنَاكَ هُنَاكَ بِعِزَّةِ الْعِزَّةِ.
 تَعَالِيَا عَلَى الْجِرَاحِ، وَبَعِيدًا عَنِ الْمُرَاحِ، اسْمَحْنَ لِي أَنْ
 أَقُولَ لَكُنَّ أَخَوَاتِ السَّلَاحِ، أَنْ مِيرَاثَ الْأَحْرَارِ وَالْأَمَانَةِ الَّتِي
 تَرَكُوهَا خَلْفَهُمْ تَحْتَاجُ لَوْرَثَةِ أَصْحَابِ هِمَّةٍ تَنَاطِحُ السَّحَابِ،
 فَوَاجِبٌ عَلَى كُلِّ حُرٍّ وَحُرَّةٍ أَنْ يَنْهَضُوا وَيَهْبُوا لِحَمَلِهَا مُتَعَالِينَ
 عَلَى جِرَاحِهِمْ وَالْأَمِيمِ... كُلِّ حَسَبٍ قُدْرَتِهِ وَاسْتِطَاعَتِهِ
 وَإِمْكَانِيَّاتِهِ.

أَخَوَاتِي كُلُّكُنَّ أَدْكِي مَنِي وَكُلُّكُنَّ أَشْجَعُ مَنِي... وَكُلُّكُنَّ
 مُقَاوِمَاتٍ وَمُجَاهِدَاتٍ، وَمَا أَنَا إِلَّا طِفْلَةٌ يَتِيمَةٌ، تَتَدَلَّلُ مُمَارِحَةٌ
 أَخَوَاتِهَا الْكَبِيرَاتِ عُمَرًا وَمَقْدَارًا وَعِلْمًا وَجِهَادًا... وَتَدَلَّلُ مُمَارِحَةٌ

أُمِّهَا الَّتِي أَرْضَعَتْهَا حَلِيبَ حَرَائِرِ فَلَسْطِينِ وَأَخَوَاتِ الْمَرْجَلَةِ.
 وَفِي خِتَامِ حَدِيثِي لَكُنُّ يَا أَخَوَاتِي، هَيَّا... هَيَّا اضْحَكُنْ
 وَدَعْنِي أَرَى أَسْنَانِكِ الَّتِي يَسْكُنُهَا سَوْسُ الْعُبُوسِ ... _ أَفْصِدُ
 أَسْنَانَ اللَّوْلُؤِ الَّتِي تَخْتَبِي خَلْفَ شِفَاهِكُنْ _، اضْحَكُنْ حَتَّى
 يُضِيئَ لَوْلُؤُ أَسْنَانِكُنَّ جَنَابَاتِ هَذِهِ الزَّنَانَةِ الَّتِي سَوْفَ يُضِيئُ
 السَّجَانُونَ الْمَلَاعِينَ مَصَابِيحَهَا بَعْدَ قَلِيلٍ، لِأَنَّ سَاعَةَ النَّظَامِ
 الَّتِي فَرَضُوهَا عَلَيْنَا قَدْ حَلَّتْ وَلَيْلُنَا الدَّامِسُ قَدْ وَصَلَ.

يَا ظَلَامَ السَّجَنِ خَيْمِ إِنَّنَا نَهْوَى الظَّلَامَا...
 لَيْسَ بَعْدَ السَّجَنِ إِلَّا فَجْرٌ مَجْدٍ يَتَسَامَى ...
 فَضَحِكَانِكُنَّ تُرِيحُ الْقَلْبَ وَتُغِيظُ السَّجَانَ اللَّعِينِ،
 وَتُنْسِي هُمُومَ السَّجَنِ وَالْأَمَةِ، وَوَسِيلَةَ لِتَرَابِطِ
 قُلُوبِنَا، إِلَى أَنْ يَمُنَّ اللهُ عَلَيْنَا بِفَرْجٍ قَرِيبٍ.
 (قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا).

الفصل الثامن

الحمد لله

" الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور، الحمد لله الذي ردّ عليّ رُوحِي، وعافاني في جسدي وأذن لي بذكره".
هَذَا الدُّعَاءُ وَالذِّكْرُ وَجَدْتُ الدُّكْتُورَةَ مَرِيَمَ تَرَدَّدَهُ بِصَوْتٍ خَافِتٍ مَا إِنْ فَتَحْتُ عَيْنِي صَبَاحًا، فَمَا كَانَ مِنِّي إِلَّا أَنْ قُمْتُ بِتَرَدِيدِهِ الْمَرَّةَ تِلْوَ الْمَرَّةِ فِي سِرِّي، بَعْدَ أَنْ عَاوَدْتُ إِغْلَاقَ عَيْنِي وَعِنْدَهَا وَجَدْتُ قَلْبِي وَقَدْ غَصَّ حُزْنًا، وَعَيْنِي قَدْ فَاضَتْ دَمْعًا، وَمَرَّتِ الدَّقَائِقُ ثَقِيلَةً؛ ذَلِكَ لِأَنَّ عَقْلِي بَدَأَ يُدْرِكُ رُويِدًا رُويِدًا، أَنَا كُنْتُ مَيِّبَةً الْإِحْسَاسِ وَمَغْلُوبَةً الرُّوحِ . . . سِوَاءَ أَكُنْتُ نَائِمَةً أَمْ مُسْتَيْبِظَةً !! .! فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانِي بَعْدَمَا كَانَ قَدْ أَمَاتَنِي أَثْنَاءَ نَوْمِي !! .! .! وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّ لِي رُوحِي وَعَقْلِي بَعْدَمَا كَانَ الشَّيْطَانُ قَدْ سَلَبَهُمَا مِنِّي نَهَارًا جَهَارًا عِنْدَمَا زَرَعَ فِي

عَفْلِي كُرْهَ الْوَالِدِي الْمُجَاهِدِ وَالْحِقْدَ عَلَى كُلِّ مَا يَمُتُّ لِلْمُقَاوِمَةِ
وَفِلَسْطِينِ بِصِلَةٍ!.

كَمْ كُنْتُ مَهْزُومَةً وَضَائِعَةً، أَعِيشُ فِي غَيْبِوَبَةِ الْوَهْمِ
وَاللَّا إِدْرَاكَ . . . وَكَمْ كُنْتُ نَاقِمَةً عَلَى وَاقِعِي،
وَرَافِضَةً لَهُ . . . وَكَمْ كُنْتُ مُتَحَجَّرَةً الْقَلْبِ قَاسِيَةً
الْإِحْسَاسِ نَحْوَ الْوَالِدِي وَوَالِدَتِي وَجِدَّتِي وَنَفْسِي.

وَالآنَ أَنِ الْأَوَانُ لِكَيْ أُسْتَيْقِظَ مِنْ غَيْبِوَبَةِ الْمَاضِي الْوَاهِمِ
الَّذِي اصْطَنَعْتُهُ لِنَفْسِي، حَتَّى أَنْصِرَ عَلَى وَاقِعِي . . .
فَلَا مَقَرَّ لِي مِنْ حَقِيقَةٍ كُونِي فَاقِدَةً لِلْبُوصَلَةِ،
وَمُخْطِئَةً أَوْلًا، وَمِنْ كُونِي مُطَالِبَةً بِإِصْلَاحِ
الْأَخْطَاءِ الَّتِي اصْطَنَعْتُهَا بِنَفْسِي وَلِنَفْسِي ثَانِيًا.

.... فِلَسْطِينِيَّةٌ تَنْتَمِي رُغْمَ مَا حَدَثَ إِلَى هَذِهِ الْأَرْضِ الْمُبَارَكَةِ
الطَّيِّبَةِ، وَالْيَ مَا تُجَاهِدُ بِهِ وَتَفَاخَرُ مِنْ مُقَدَّسَاتٍ وَمُسَلَّمَاتٍ
كَالْأَقْصَى وَالْقُدْسِ وَكَنِيسَةِ الْمَهْدِ وَالْقِيَامَةِ . . . وَالْمُقَاوِمَةَ
وَالْإِثْمَاءَ، فَلَا مَكَانَ هَا هُنَا لِلْوَاهِمِينَ الضَّائِعِينَ الْمَهْزُومِينَ
الْقَادِمِينَ مِنَ الْوَاقِعِ الَّذِي لَا مَقَرَّ مِنْهُ إِلَّا إِلَيْهِ.

فَلَا مَكَانَ لِمَا كَانَ لِأَنْتِي مَا عُدْتُ مُكَمَّمَةَ الْعَقْلِ وَالْقَلْبِ
السَّاحِطِينَ عَلَى قَدْرِ اللَّهِ تَعَالَى . . . تَبْتُ إِلَى رَبِّي
وَأَسْتَغْفِرُ وَمَا زِلْتُ أَسْتَغْفِرُ عَنْ ذَنْبِي وَفَتَحْتُ عَيْنِي وَعَقْلِي
وَقَلْبِي وَاسْتَيْقَظْتُ وَأَيْقَظْتُ فِطْرَتِي السَّلِيمَةَ الَّتِي دَفَعْتَنِي لِلرِّضَا
بِمَا كَتَبَهُ اللَّهُ لِي وَقَدَّرَهُ . . . كَيْفَ وَقَدْ دَفَعَنِي إِيْمَانِي أَخِيرًا
بِقَضَاءِ صَاحِبِ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ لِتَصْوِيبِ مَعْيَارِ مِيزَانِ قَلْبِي
وَعَقْلِي وَنَظْرِي بَعْدَ أَنْ طَهَّرَهُنَّ مِمَّا كَانَ يَشُوْبُهُمَا مِنْ أَوْهَامٍ
وَوَسَاوِسٍ وَغِشَاوَةٍ كَادَتْ أَنْ تُودِيَنِي بِي إِلَى الْمَوْتِ الْمَحْتومِ؟!،
كَمَا الْفَرَاشَاتُ الَّتِي تَسْلُبُهَا النَّارُ نُورَ عَقْلِهَا وَإِدْرَاكِهَا، فَتَقْوُدُهَا
أَجْنِحَتُهَا نَحْوَ النَّوْرِ الْوَاهِمِ فَإِذَا بِهِ نَارٌ هَلَكَهَا !!! .

لَيْتَنِي أُسْتَطِيعُ بَعَثَ الرُّوحِ مِنْ جَدِيدٍ فِي جَسَدِ وَالِدِي
المُسَجَّى فِي جَوْفِ قَبْرِ مَجْهولِ المَكَانِ فِي مَقْبَرَةِ الْأَرْقَامِ . . .
حَتَّى أَخْبِرُهُ بَعْدَ أَنْ أَعَانَقَهُ وَأَبْكِي بُكَاءَ التَّائِبَةِ النَّادِمَةِ أَنَّي مَا
عُدْتُ كَمَا كُنْتُ قَطَّ . . . وَلَكِي يَشْهَدُ بِنَفْسِهِ مِيلَادَ رُوحِي مِنْ
جَدِيدٍ بَعْدَمَا تَوَحَّدْتُ مَعَ رُوحِ العَنْقَاءِ الْمُتْبِعَةِ مِنْ رَمَادِ

الأسطورة فَلَعَلَّهُ يَغْفِرُ لِي مَا كَانَ مِنِّي مِنْ رُعُونَةٍ وَجَهْلٍ
وَاسْتِهْتَارٍ؛ أَوْ انْهِيَارٍ !!! .!

وفي تِلْكَ الأَثْنَاءِ وَوَسَطَ بَحْرِ مِنَ الأَفْكَارِ مُتَلَاظِمِ الأمْوَاجِ،
أَحْسَسْتُ بِيَدِ حَانِيَةِ تَلَامِسُ رَأْسِي المَغْطَى بِمَا كُنْتُ أَدْتَرُهُ بِهِ .
. . بَعْدَمَا اصْطَنَعْتُ النُّومَ فِرَارًا مِنْ ذَاتِي وَأَحْزَانِهَا . . . إِلَّا أَنْ
صَاحِبَةَ اليَدِ الحَانِيَةِ قَدْ أَحَسَّتْ بِأَنْفَاسِي المَخْنُوقَةِ وَدُمُوعِي
المُنْهَمِرَةِ، فَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَّا أَنْ بَدَأَتْ تَرَدُّدُ الآيَاتِ القُرْآنِيَةِ
بِصَوْتِ عُدْبٍ كَمَا مَاءِ زَمْزَمَ؛ وَذَلِكَ عَلَى أَمَلٍ مِنْهَا بِأَنْ تُخَفِّفَ
عَنِّي مَا شَعَرْتُ هِيَ بِهِ مِنْ أَلَمٍ وَحُزْنٍ كَانَا قَدْ اعْتَلِيَانِي
فَأَعْلَانِي.

مَضَتْ الدَّقَائِقُ سَرِيعًا رَيْثَمَا بَدَأَتْ القَنِيَاتُ بِالإِسْتِيقَاضِ
الوَاحِدَةَ تَلُو الأُخْرَى، وَعِنْدَمَا رَفَعْتُ السِّتَارَ عَنْ رَأْسِي وَجَسَدِي
بَعْدَمَا رَفَعْتُ الدُّكْتُورَةَ مَرِيْمُ يَدَهَا، رَأَيْتُهَا مُوَاصِلَةَ الجُلُوسِ إِلَيَّ
جِوَارِي فَأَلْقَيْتُ تَحِيَّةَ الصَّبَاحِ عَلَيْهَا وَعَلَى القَنِيَاتِ
وَعِنْدَهَا انْطَلَقَتْ كُلُّ مِنَّا لِلإِسْتِعْدَادِ لِيَوْمِهَا خَلْفَ أَسْوَارِ هَذَا
السَّجْنِ البَغِيضِ، وَتِلْكَ الرِّزْزَانَةُ الضَّيِّقَةُ الَّتِي كَانَتْ مَعَ ضَيْقِهَا

بِمُنْتَهَى النَّظَافَةِ وَالتَّرْتِيبِ، ذَلِكَ لِأَنَّ الْفَتَيَاتِ كَنَّ كَمَا النَّحْلُ
الَّتِي تُرْتَّبُ خَلَايَاهَا بِإِقْتِدَارٍ وَذَلِكَ بِالطَّبْعِ بِتَوْجِيهِهِ مِنَ الدُّكْتُورَةِ
مَرْيَمَ.

مَا بَيْنَ تَقْلِيْبِ أَوْرَاقِ الْكُتُبِ، وَالْقِرَاءَةِ الْعَشْوَانِيَّةِ وَالِاسْتِمَاعِ
لِلْفَتَيَاتِ وَحِكَايَاتِهِنَّ، أَحْرَقَ كُلَّ وَقْتِي الَّذِي لَمْ أَسْتَطِعْ حَفْظَهُ
وَتَوْجِيهِهُ إِلَى مَا يُفِيدُ وَيَنْفَعُ إِلَّا بِتَأْتِيرٍ مِنَ الدُّكْتُورَةِ مَرْيَمَ، الَّتِي
رَعَنْتِي وَوَجَّهْتَنِي نَحْوَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَحَفِظَ مَا نَبَسَرَ لِي
مِنْ آيَاتِهِ وَسُورِهِ، وَالتَّبَحُّرِ قَدْرَ الْإِمْكَانِ فِي مَعَانِي آيَاتِهِ، وَنَحْوِ
الْقِرَاءَةِ الْمُتَخَصَّصَةِ بِكُتُبِ تَرْكِيَةِ النَّفْسِ، وَالتَّنْمِيَةِ الْبَشَرِيَّةِ، مِمَّا
جَعَلَنِي أُدْرِكُ مَدَى جَهْلِي بِأُمُورٍ دِينِي وَدُنْيَايَ، وَأُمُورٍ آخِرَتِي
وَمَحْيَايَ، وَمَدَى بُعْدِي عَنِ الْإِسْتِعْدَادِ لِأَيِّ مِنْهُمَا، وَمَدَى قُرْبِي
مِنَ السَّقُوطِ فِي جَحِيمِ جَهَنَّمَ.

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ كُلِّ الْحَمْدِ وَالِاسْتِغْفَارُ كُلِّ الْإِسْتِغْفَارِ عَلَى كُلِّ
مَا بَدَرَ مِنِّي، وَالتَّوْبَةُ النَّصُوحِ الصَّادِقَةِ الَّتِي لَا عَوْدَةَ عَنْهَا
_بِإِذْنِ مَنْ رَفَعَ السَّمَاءَ بِلَا عَمَدٍ وَأَرَسَى الْأَرْضَ بِالْجِبَالِ
كَالْوَتْدِ_.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَدَّرَ لِي بَعْدَ مُضِيِّ عَامٍ وَتَيْفِ التَّحَرُّرِ مِنْ
هَذَا السَّجْنِ الظَّالِمِ وَالْمُجْرِمِ سَجْنَهُ . . .

أَمَّا كَيْفَ حَدَثَ ذَلِكَ فَعَلِمْتُهُ عِنْدَ اللَّهِ، وَعِنْدَ كُلِّ مِنَ الدُّكْتُورَةِ
مَرْيَمُ وَوَالِدَتِي، الَّتِي امْتَلَكْتَ مِنْذُ الْأَيَّامِ الْأُولَى عَلَى اعْتِقَالِي
مِفْتَاحَ حُرِّيَّتِي وَتَحَرُّرِي.

حَيْثُ تَبَيَّنَ لِي أَنَّ وَالِدَتِي حَصَلَتْ عَلَى تَسْجِيلٍ مُصَوَّرٍ،
يُبَيِّنُ بِشَكْلٍ لَا لَبْسَ فِيهِ _حَتَّى عِنْدَ الْقَضَاةِ الصَّهَابِيَّةِ، الَّذِينَ لَا
يَمْلِكُونَ مِنْ صِفَاتِ الْقَضَاةِ الْحَقِيقِيِّينَ سِوَى الْأَسْمِ لَا أَكْثَرَ وَلَا
أَقَلَّ_ بَرَاةِي مِمَّا نَسَبُهُ لِي جُنُودُ الْإِحْتِلَالِ زُورًا وَبُهْتَانًا، أُولَئِكَ
الْجُنُودُ الَّذِينَ أَطْلَقُوا نِيرَانَ بِنَادِقِهِمْ صَوْبِي، لَيْسَ بِسَبَبِ خَطَرِ
دَاهِمٍ شَكَلْتُهُ أَنَا ضِدَّهُمْ ، وَأِنَّمَا لِأَنَّهُمْ كَانُوا يُمَارِسُونَ مَا بَرَعَ بِهِ
الْيَهُودُ مِنْ بَدَايَةِ اخْتِلَالِهِمْ لِفِلَسْطِينِ مِنْ سَادِيَّةٍ مَرَضِيَّةٍ نَبْتَةٌ
ضِدَّ سَادَةِ فِلَسْطِينِ وَأَهْلِهَا الْكِنَعَانِيِّينَ . . . وَضِدِّي أَنَا أَيْضًا
بِاعْتِبَارِي فِلَسْطِينِيَّةٍ لَا أَكْثَرَ وَلَا أَقَلَّ.

النَّقَطُ كَامِيرًا مُرَاقِبَةً كَانَتْ مُتَبَيِّنَةً عَلَى جِدَارِ أَحَدِ الْمَنَازِلِ
الْمُطَلَّةِ عَلَى مُفْتَرَقِ الطَّرِيقِ تَسْجِيلًا بَيْنَ اعْتِدَاءِ الصَّهَابِيَّةِ
بِرِصَاصِ حِفْدِهِمْ وَسَادِيَّتِهِمْ عَلَيَّ.

وَقَدْ حَصَلَتْ وَالِدَتِي عَلَى ذَلِكَ التَّسْجِيلِ، عِنْدَمَا تَوَجَّهَ مَالِكُ
ذَلِكَ الْمَنْزِلَ لِوَالِدَتِي مُخْبِرًا إِيَّاهَا بِمَا يَمْلِكُهُ، وَمِمَّا تَمْلِكُهُ مِنْ
مَشَاعِرِ خَوْفٍ وَرَهْبَةٍ مِنْ مَلَاخِقَةِ جُنُودِ الْإِحْتِلَالِ وَالْأَجْهَرَةِ
الْأَمْنِيَّةِ الصُّهْيُونِيَّةِ لَهُ، فِي حَالٍ تَمَّ بَثُّ هَذَا التَّسْجِيلِ وَإِيصَالِهِ
لِوَسَائِلِ الْإِعْلَامِ ثُمَّ إِلَى الْمَحْكَمَةِ؛ خَاصَّةً أَنَّ مَنْزِلَهُ يَقَعُ بِجِوَارِ
إِحْدَى الْمُسْتَوْطَنَاتِ الصُّهْيُونِيَّةِ الَّتِي أُقِيمَتْ بَعْدَمَا وَقَعَ مُجْرِمُو
أُسْلُو وَحَمَاةُ الصَّهَابِيَّةِ اتِّفَاقِيَّةَ عَمَالَتِهِمْ الْمُسَمَّاةِ "اتِّفَاقِيَّةُ أُوسْلُو"
تِلْكَ الْاتِّفَاقِيَّةُ الَّتِي كَانَتْ مِنْ نَتَائِجِهَا مُضَاعَفَةُ
عَدَدِ الْمُسْتَوْطَنَاتِ الصُّهْيُونِيَّةِ عَشْرَاتِ الْأَضْعَافِ.

فَمَا كَانَتْ مِنْ وَالِدَتِي إِلَّا أَنْ قَامَتْ وَعَلَى الْفَوْرِ بِإِخْبَارِ
صَدِيقِ وَالِدِي وَقَرِيبِي الَّذِي سَبَقَ لَهُ وَأَنْ أَعْطَانِي تِلْكَ الرَّسَالَةَ
الْوَصِيَّةَ، الَّتِي قَلَبَتْ حَيَاتِي رَأْسًا عَلَى عَقَبٍ بَعْدَ هَدْمِ مَنْزِلِنَا
وَاسْتِشْهَادِ وَالِدِي، وَعِنْدَهَا قَامَ الصَّدِيقُ الصَّدُوقُ وَالْمُجَاهِدُ

العامِلُ تَحْتَ جُنْحِ الظَّلَامِ ضِدَّ الْمُحْتَلِّينَ وَالْمُنْحَلِينَ بِشِرَاءِ
 الْمَنْزِلِ مِنْ صَاحِبِهِ وَالْحُصُولِ عَلَى تَسْجِيلِ الْفَيْدِيُو، وَعِنْدَهَا
 تَمَكَّنَ صَاحِبُ الْمَنْزِلِ مِنْ مُغَادَرَتِهِ وَالْإِنْتِقَالَ لِلِسَكَنِ فِي مَدِينَةِ
 أُخْرَى، بَعِيدًا عَن قَرْيَتِنَا، وَعَن جُنُودِ ذَلِكَ الْحَاجِرِ الصَّهَابِيَّةِ
 وَبَطْشِهِمْ، أَمَّا وَالِدَتِي فَقَدْ أَقْبَنْتُ أَنَّ تَسْجِيلَ الْفَيْدِيُو الَّذِي
 حَصَلَتْ عَلَيْهِ يُعْتَبَرُ الْمِفْتَاحَ الَّذِي تَسْتَطِيعُ مِنْ خِلَالِهِ فَتْحَ بَابِ
 زِنْرَانَتِي وَإِخْرَاجِي مِنْ مَحْبِسِي وَمَدْفَنِي وَقِنَّمَا تَشَاءُ، وَهَذَا
 بِالطَّبْعِ مَا أَكَّدَهُ الْمُحَامِي الَّذِي أَحْضَرَهُ صَدِيقُ وَالِدِي لِوَالِدَتِي
 لِكَيْ تَسْتَسِيرَهُ، وَهُنَا فَاجَأَتْهُمَا وَالِدَتِي بِرَجَائِهَا بِأَلَّا يُخْبِرَ أَحَدًا
 كَائِنًا مَنْ كَانَ عَن ذَلِكَ التَّسْجِيلِ رَيْئِمًا نُفَرِّرُ هِيَ الْوَقْتِ
 الْمُنَاسِبِ لِتَحْرِيرِي مِنْ مَحْبِسِي وَبِمَعْنَى آخَرَ رَيْئِمًا
 تَتَمَكَّنُ مِنْ صَفْلِي فَلَا يَصْنَعُ الْأَلْمَاسَ سِوَى الْأَلْمَاسِ.
 وَهَذَا مَا انْفَقْتُ عَلَيْهِ وَالِدَتِي مَعَ الدُّكْتُورَةِ مَرِيَمَ فِي أَوَّلِ زِيَارَةِ
 لَهَا لِي فِي الْمُعْتَقَلِ، حَيْثُ تَرَكْتَنِي جَالِسَةً وَحْدِي بَعْدَ دَقَائِقَ
 مَعْدُودَةٍ قَضَيْتُهَا تَتَأَمَّلُ وَجْهِي وَهِيَ صَامِتَةٌ، وَالِي حَيْثُ تَجْلِسُ
 الدُّكْتُورَةُ مَرِيَمُ النَّبِيَّةِ أَوْصَى بِهَا صَدِيقُ وَالِدِي لِتَكُونَ هِيَ، وَهِيَ

فَقَطَّ قِطْعَةَ الْأَلْمَاسِ الصَّاقِلَةَ الَّتِي تُعِيدُ لِي قِيَمَتِي وَكِيَانِي . .
 . بَلْ وَتَحْوِيلِي أَوْلَا مِنْ مُجَرَّدِ قِطْعَةٍ مِنَ الْفَحْمِ إِلَى حَجَرِ
 الْأَمَاسِ بِفِعْلِ عَوَامِلِ الضَّغَطِّ وَالْحَرَارَةِ، وَهَذَا بِالطَّبْعِ مَا حَدَثَ
 وَكَانَ . . . حَيْثُ قَامَتِ الدُّكْتورَةُ مَرِيْمُ بِإِعَادَةِ
 بِرْمَجَتِي وَصَقْلِي عَقَائِدِيًّا وَتَارِيخِيًّا وَسِيَاسِيًّا وَعَسْكَرِيًّا وَأَمْنِيًّا.
 فَخِلَالَ عَامٍ وَتَيْفٍ عَلَّمْتَنِي الدُّكْتورَةُ مَا احْتِاجُ لِعَشْرَاتِ
 الْأَعْوَامِ لِتَعْلَمِهِ، هَذَا إِنْ وَجَدْتُ مُعَلِّمًا مُخْلِصًا قَادِرًا عَلَى
 الْمُرَاجَعَةِ بَيْنَ رُوحِ الْعِلْمِ وَقَانُونِهِ . . . وَتَحْوِيلِ قَوْلِهِ
 لِعَمَلٍ . . . وَالْعَوْدَةِ مِنَ الْعَمَلِ لِلْقَوْلِ وَهَكَذَا.
 وَمِمَّا تَعَلَّمْتُهُ وَعَلِمْتُهُ مِنَ الدُّكْتورَةِ مَرِيْمُ فِي إِحْدَى
 مُحَاضِرَاتِهَا وَالَّتِي كَانَتْ تَحْتَ عُنْوَانِ " الْيَهُودُ وَصِنَاعَةُ التَّبْرِجِ
 وَالْإِغْوَاءِ " حَيْثُ قَالَتْ: " هَلْ تَعْلَمَنَ يَا بَنَاتِي الْحَرَائِرَ أَنَّ أَكْبَرَ
 شَرِكَاتِ مُسْتَحْضِرَاتِ التَّجْمِيلِ وَإِنْتِاجِ الْعُطُورِ فِي الْعَالَمِ هِيَ
 شَرِكَةُ شَانِيلِ، الَّتِي تُنْتِجُ أَفْحَمَ أَنْوَاعِ الْعُطُورِ وَأَعْلَاهَا وَأَكْثَرَهَا
 إِغْوَاءً وَإِثَارَةً لِلشَّهَوَاتِ، يَمْتَلِكُهَا الْيَهُودُ وَتَمَّ شِرَاؤُهَا عَامَ
 (١٩٢٤)، وَبِالْمُنَاسَبَةِ هِيَ الشَّرِكَةُ الَّتِي أَسَّسَهَا (كُوكُو شَانِيلِ)

. . . وَهَلْ تَعْلَمَنَّ أَيْضًا أَنَّ عَائِلَةَ (وَرْتْمَنَ) الْيَهُودِيَّةُ هِيَ مِنْ تَمَّاكُ أَكْبَرَ شَرِكَاتِ مُسْتَحْضَرَاتِ التَّجْمِيلِ فِي فَرَنْسَا وَهِيَ (مَجْمُوعَةُ) (بُورْجُو) وَالَّتِي تَلِيهَا هِيَ (لُورِيَال) وَيَرَأْسُهَا وَيُدِيرُهَا الْيَهُودِيُّ (جَان مَائِير) وَهُوَ مَشْرُوعٌ مُؤَسَّسِهَا أَمَّا مَجْمُوعَةُ (كِرِسْتِيَان دِيُور) فَيَرَأْسُهَا وَيُدِيرُهَا الْيَهُودِيُّ (سِيدِنِي تُولِيدَانُو)، أَمَّا امْبِرَاطُورِيَّةُ صِنَاعَةِ الْعُطُورِ (فَايْرِجِيَه) فَمَالِكُهَا هُوَ الْيَهُودِيُّ (صَمُوِيلُ رُوبِين) أَمَّا الْيَهُودِيُّ (رُونَالْدِيْبِر بِلْمَان) فَهُوَ وَأُسْرَتُهُ يَمْتَلِكُونَ عُدَدًا كَبِيرًا مِنْ أَشْهُرِ الْمَارَكَاتِ الْعَالَمِيَّةِ وَأَكْثَرُهَا رَوَاجًا فِي عَالَمِ مُسْتَحْضَرَاتِ التَّجْمِيلِ وَالْعُطُورِ وَهِيَ (رِيْفُلُون) وَ (مَأكْس فَاكْتُور) وَ (إِيْف سَان لُورَان)، وَيَمْتَلِكُ مَعَهَا دَارًا لِنَشْرِ الْمَجَلَّاتِ الَّتِي تَخْتَصُّ بِالتَّجْمِيلِ وَهِيَ (مَارْفِلُ)، وَهِيَ أَيْضًا مَرْكَزًا لِصِنَاعَةِ أَفْلَامِ الدَّعَايَةِ لِتَنَّاكِ الْمُسْتَحْضَرَاتِ، وَبِيَانِ فُنُونِ وَطُرُقِ التَّجْمِيلِ بِهَا، وَكَيْفِيَّةِ اسْتِعْمَالِهَا، وَقَدْ خَتَمَتِ الدُّكْتُورَةُ مَرِيَمُ مُحَاضَرَتَهَا تِلْكَ بِقَوْلِهَا وَهَلْ تَعْلَمِينَ أَيْضًا أَنَّ أَشْهُرَ لُعْبَةِ أَطْفَالٍ فِي الْكُرَةِ الْأَرْضِيَّةِ هِيَ (العُرُوسَةُ بَارِي) وَهِيَ أَيْضًا أَحَدُ أَهَمِّ رُمُوزِ الْأَمْرِيكَانِ

والعرب، وَتُنْتَجِبُ شَرِكَةَ (ماتيل) اليهوديَّةُ التي يرأسها وَيُدِيرُهَا
 (جِيلْبَارَادُ) وَأَمَّا بَاقِي شَرِكَاتِ تَصْمِيمِ لُعْبِ الْأَطْفَالِ وَإِنْتَاكِهَا
 وَتَوَازِعِهَا اليهوديَّةِ فَأَشْهُرُهَا (هَاسْبِيرُو) وَ (إِيدْيَالْمِيْجُو) وَ
 (كُولِيْكُو) وَ (مَصَانِعُ مَدَامِ الكَسَنْدُرِ لِعَرَائِسِ الْأَطْفَالِ).
 كُنْتُ قَبْلَ مَا كَانَ مُجَرَّدَ رُؤْيَعَةٍ تَائِهَةٍ فِي فَنْجَانِ،
 أَمَّا الْيَوْمَ وَبَعْدَ مَا كَانَ فَقَدْ عَدَوْتُ كَمَا
 حَمَمَ الْبُرْكَانِ الْمُتَحَفِّزُ لِلنُّورَانِ وَصَدَّ الْعُدُونِ، حَمَمٌ أَرَادَ الْمُحْتَلُّ
 أُسْرَهَا، ثُمَّ تَوَجَّهَتْ نَحْوَ مَنْ كُنْتُ أَجَاهِدُ بِكَرْهِي لَهُمْ وَعَضْبِي
 عَلَيْهِمْ وَسَعْيِي لِلنَّيْلِ مِنْهُمْ وَمِنَ أَعْمَالِهِمْ؛ ظَنًّا وَوَهْمًا مِنَ الْمُحْتَلِّ
 وَجِهَازِ مُخَابَرَاتِهِ الْمُسَمَّى (الشَّابَاك) أَنَّنِي أَنَا _أَيُّ وُرُودِ
 السَّادِجَةِ الْخَائِفَةِ الَّتِي كَرِهَتْ فَلِسْطِينَ وَأَرْضَهَا وَشَعْبَهَا
 وَقَضِيَّتَهَا وَأَرَادَتْ التَّبَرُّؤَ مِنْ وَالِدِهَا الْمُجَاهِدِ وَأَفْعَالِهِ الْمُقَاوِمَةِ،
 قَبْلَ اعْتِقَالِهَا _ لَا تَزَالُ وُرُودِ السَّادِجَةِ، وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهَا عَدَتْ
 وُرُودَ الدَّامِيَةِ الَّتِي تَسْجُنُهَا الْأَشْوَاكُ وَتُفَوِّحُ مِنْهَا رَائِحَةَ الدَّمِ
 وَالْمَوْتِ لِبَنِي صَهْيُونَ الْبُغَاةِ الْعَنَاءَةِ وَمَنْ وَالَاهُمْ.

فَقَدْ حَاوَلَ ضُبَّاطُ جِهَارِ الشَّابَاكِ الَّذِينَ أَدْرَكُوا
 قُرْبَ مَوْعِدِ إِطْلَاقِ سَرَاخِي تَجْنِيدِي لِكَيْ أَعْمَلَ لِحِسَابِهِمْ
 جَاسُوسَةً ضِدَّ الْمُقَاوِمَةِ وَالْمُقَاوِمِينَ، فَمَا كَانَ مِنِّي سِوَى
 الْمَوَافَقَةِ عَلَى عَرْضِهِمْ بَعْدَ قَلِيلٍ مِنَ الْمُرَاوَعَةِ.
 وَهَذَا بِالطَّبَعِ جُزْءٌ لَا يَنْجِزُ مِمَّا تَعَلَّمْتُهُ مِنَ الدُّكْتُورَةِ مَرِيَمَ،
 الَّتِي كَانَتْ قَدْ أَخْبَرْتَنِي أَنَّ الصَّهَابِيَّةَ قَدْ يَسْعُونَ لِتَجْنِيدِي؛ لِذَلِكَ
 أَعَدَّتْنِي احْتِيَاظًا وَتَحَسُّبًا إِعْدَادًا مُحْكَمًا لَمْ يَكُنْ مُفْتَصِّرًا فَقَطَّ
 عَلَى اكْتِسَابِ الْمَهَارَاتِ وَمَعْرِفَةِ الْمَعْلُومَاتِ وَالخِبْرَاتِ، بَلْ هُوَ
 إِعْدَادٌ مَكْنَنِي مِنْ اسْتِخْدَامِ مَا تَعَلَّمْتُهُ، وَاضِعَةٌ إِيَّاهُ مَوْضِعَ
 التَّصَرُّفِ، فَعَدَوْتُ لَبَّوَةً جَارِحَةً قَاتِلَةً وَنَاضِجَةً ضَابِطَةً
 لِانْفِعَالَاتِهَا وَمُتَوَافِقَةً مَعَ نَفْسِهَا وَوَاقِعِهَا وَمُدْرِكَةً لِأَهْدَافِهَا إِدْرَاكًا
 عَمِيقًا مُتَجَدِّدًا، وَسَاعِيَةً لِتَحْقِيقِ تَطَلُّعَاتِهَا وَالْمُتَمَتِّلَةَ بِمُقَاوِمَةِ
 الْمُحْتَلِّ بِجِدِّ وَتَبَاتٍ بِلَا غَضَبٍ مُعِمٍّ وَانْفِعَالٍ مُتَهَوِّرٍ.
 وَبِالزَّرْعِ مِنَ الْعَرَضِ الدَّنِيِّ الَّذِي قَدَّمَهُ لِي الصَّهَابِيَّةُ عَبْرَ
 ضُبَّاطِ مَخَابِرَاتِهِمْ، مِنْ أَجْلِ تَحْوِيلِي لَعَمِيلَةٍ خَائِنَةٍ وَخَادِمَةٍ
 لِمُنْتَظَلِبَاتِهِمُ الْأَمْنِيَّةِ ضِدَّ فِلَسْطِينَ الْوَطَنِ، فِلَسْطِينَ الْأُمَّةِ

وَالْأَرْضِ وَالدِّينِ . . . إِلَّا أَنِّي تَمَكَّنْتُ وَبِفَضْلِ مِنَ اللَّهِ مِنْ
ضَبَطِ انْفِعَالِي، مُعَبَّرَةً عَنْهُ بِصُورَةٍ نَاضِجَةٍ مُتَرَنِّةٍ وَبَعِيدَةٍ كُلِّ
الْبُعْدِ عَنْ تَعْبِيرَاتِ الطُّفُولَةِ الْمُتَهَوِّرَةِ وَالْمُنْدَفِعَةِ، فَوَاقَتْ بَعْدَمَا
اسْتَحْرَتْ اللَّهَ، وَاسْتَشْرَتْ الدُّكْتُورَةَ مَرِيْمَ الَّتِي وَضَعَتْ لِي
اللَّمَسَاتِ الْأَخِيرَةَ عَلَى خُطَّةٍ نَرْجُو مِنَ اللَّهِ أَنْ تَكُونَ مَحْكَمَةً
مُتَقَنَّةً كَامِلَةً مُتَكَامِلَةً فَحَرَبْنَا مَعَ بَنِي النَّضِيرِ وَبَنِي قَيْنُقَاعَ وَبَنِي
قَرِيضَةَ وَمَعَ عَرَاقِدَتِهِمْ حَرْبُ عُقُولٍ وَعَقِيدَةٍ وَإِعْدَادٍ وَاسْتِعْدَادٍ.

الفصل التاسع

الأقنعة

أزاح فَجْرُ الحُرِّيَّةِ لَيْلَ الأَسْرِ الدَّامِسِ، فَعَدَوْتُ حُرَّةَ الجَسَدِ
مُقَيَّدَةَ الحَرَكَةِ والتَّصَرُّفِ، ومُرْتَدِيَةً لِألوانٍ مُتَعَدِّدَةٍ مِنَ الأَقْنَعَةِ
المُقَنَّعَةِ، هذا قِنَاعُ الغَضَبِ والجُحُودِ الذي واجهْتُ بِهِ والدَتِي
بِمُجَرَّدِ أَنْ التَّقَّتْ عَيْنَايَ بِعَيْنَيْهَا، وَقَبِلَ أَنْ تُصَافِحَ يَدَايَ بِدَيْهَا
وَتَضُمَّنِي نَحْوَ صَدْرِهَا، ذَلِكَ لِأَنَّهَا لَمْ تَقُمْ بِالْعَمَلِ عَلَى إِطْلَاقِ
سَرَاحِي مُنْذُ اليَوْمِ الأوَّلِ لِحُصُولِهَا عَلَى التَّسْحِيلِ المُصَوَّرِ
الذي يُظهِرُ بِرَاءَتِي؛ قِنَاعُ جُحُودٍ وَعَظَبٍ كَانَ يُخْفِي تَحْتَهُ
مَشَاعِرَ الحُبِّ والحَنِينِ والاشْتِيَاقِ لِحُضُنِ والدَتِي وَكُلِّ دُنْيَايَ.

قِنَاعُ غَضَبٍ حَجَبْتُ بِهِ كَلِمَاتِ الْاِمْتِنَانِ وَالشُّكْرِ وَالْعِرْفَانِ
 عَلَى مَا قَامَتْ بِهِ أُمِّي فِي التَّنْسِيقِ مَعَ الدُّكْتُورَةِ مَرِيَمَ مِنْ أَجْلِ
 إِعَادَةِ صَفْلِي بَعْدَ مَا هَدَى اللهُ قَلْبِي وَأَنَارَ دَرْبِي فَأُبْصِرْتُ
 عَيْنَايَ، قِنَاعُ غَضَبٍ وَجُحُودٍ جَعَلَ وَالِدَتِي تَنْزِيحًا حُرْنَا وَتَبْكِي
 دَمْعًا كُلَّهُ حُرْقَةً وَأَلَمًا، فَكَيْفَ لَا وَهِيَ قَدْ أَيْقَنْتُ بِفِعْلِ قِنَاعِي أَنَّهَا
 لَمْ تَنْجَحْ فِي إِعَادَتِي إِلَى جَادَّةِ الْعَقْلِ وَالصَّوَابِ، وَدَرْبِ الْعِزَّةِ
 وَالكَرَامَةِ وَدَرْبِ الْجِهَادِ وَالْمُقَاوَمَةِ، الَّذِي سَارَ عَلَيْهِ وَالِدِي فَمَا
 كَانَ مِنْهَا إِلَّا وَأَنْ قَالَتْ: "حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ حَسْبِيَ
 اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ عَلَيْكَ يَا وَرُود ... يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ أَنْ تَرَى
 عَيْنَايَ مَا نَضَحَ بِهِ رَحْمِي يَوْمَ مِيلَادِكَ، فَيَا لَيْتَنِي دَسَسْتُكَ وَأَدَا
 تَحْتَ الثَّرَى بِيَدِي يَوْمَ أَنْ اسْتَشْهَدَ والدك، فَشَتَّانَ شَتَّانَ مَا بَيْنَ
 تُرْيَا الشَّهيدَ وَتَرَى الْوَرِيدَ لِهَذِهِ الدَّرَجَةِ وَصَلْتَ الْحَالَ بِوَالِدَتِي،
 وَبِشِدَّةِ رَدَّةِ فِعْلِهَا نَحْوِي نَتِيَجَةَ ائْتِنَاعِهَا بِقِنَاعِ الْعَضَبِ وَالْجُحُودِ
 الَّذِي كُنْتُ أَرْزُدِيهِ، فَمَا كَانَ مِنِّي بَعْدَ مَا حَلَّ عَلَيْنَا لَيْلٌ لَيْلَتِنَا
 الْأُولَى مَعًا إِلَّا أَنْ تَوَجَّهْتُ نَحْوَهَا، وَهِيَ جَالِسَةٌ تُصَلِّي الْفَجْرَ
 عَلَى سِجَّادَةِ الصَّلَاةِ الَّتِي ارْتَوَتْ بِدُمُوعِ

عَيْنِيهَا اللَّتَيْنِ غَدَتَا كَالْجَمْرِ الْمَخْنُوقِ بِالْحَطَبِ ..
 حَطَبِ الْأَلَمِ وَالْحُزَنِ وَالْأَسَى وَالْخُذْلَانِ، وَهُنَا لَمْ أَتَمَّاكَ نَفْسِي
 فَدُسْتُ قِنَاعِي متجاوزةً المَحْظُورَ وَقُلْتُ لَهَا: «أُمَاهُ الْحَبِيبَةَ
 الْعَالِيَةَ الْحَانِيَةَ ... أنا وُرُودُ الْأَبْنَةَ النَّادِمَةَ التَّائِبَةَ وَالرَّاجِيَةَ رَحْمَةَ
 رَبِّهَا وَمَعْفُورَتِهِ، وُرُودُ الطِّفْلَةَ الْمُشْتَاقَةَ لِحُضْنِ والدَتِهَا وَصَدْرِ
 أُمِّهَا الدَّافِي»، وَهُنَا نَظَرْتُ إِلَيَّ وَالدَّتِي بِذُهُولٍ وَصَمْتٍ....
 فَأَزْدَفْتُ قَائِلَةً: «أُمِّي الْحَبِيبَةُ، اعْلَمِي عِلْمَ اليَقِينِ أَنَّ مَا بَدَرَ
 مِنِّي صَبَاحَ يَوْمِ أُمْسٍ عِنْدَمَا قُئِمْتُ بِاسْتِقْبَالِي مَعَ الْمُهْتَمِّينَ
 بِسَلَامَتِي مَا كَانَ سِوَى خُطَّةٍ احتاجتُ لِقِنَاعِ أَرْتَدِيهِ رُغْمًا
 عَنِّي، حَتَّى أَتَمَكَّنَ مِنْ إِفْنَاعِ القَاصِي قَبْلَ الدَّانِي أَنَّنِي مَا زِلْتُ
 الوُرْدَةَ الْمُتَمَرِّدَةَ الْمُتَعَطِّرِسَةَ وَالرَّافِضَةَ لَوَاقِعِهَا، وَذَلِكَ حَتَّى
 أَتَمَكَّنَ مِنْ خِدَاعِ وإفْنَاعِ أصحابِ تِلْكَ العُقُولِ الخَبِيثَةِ المَآكِرَةِ،
 وَأَعْيُنِهِمُ العَاذِرَةَ الْمُتَرَصِّدَةَ أَنَّنِي لَسْتُ وَلَنْ أَكُونَ فِلَسْطِينِيَّةَ
 الهَوَى، وَأَنَّنِي مَا زِلْتُ كَمَا كُنْتُ قَبْلَ أُسْرِي وَاعْتِقَالِي، وَهُنَا أُفْسِمُ
 لِكَ أُمَاهُ، أَنَّنِي مَا عُدْتُ كَمَا كُنْتُ بَلْ أَصْبَحْتُ كَمَا تُحِبِّينَ
 وَتَلْتَمِئِينَ.

فغَدَوْتُ الْوَرْدَةَ الْمُدْمِيَّةَ لِمَنْ دَنَسَ أَرْضَهَا وَاحْتَلَّ وَطَنَهَا
 وَشَرَّدَ أَهْلَهَا، وَلِمَنْ سَاوَمَ وَبَاعَ الطَّيْنَ وَنَهَبَ الْفِلْسَ مُحَوَّلًا
 فَلِسْطِينَ مِنْ أَرْضِ مُبَارَكَةَ إِلَى جُنَّةِ هَامِدَةَ، بِالرَّغْمِ مِنْ أَنْ فِيهَا
 بَوِيَّةٌ مِنْ أَنْفَاسٍ لِيَدْفِنَهَا تَحْتَ الثَّرَى، لَا كَمَا تَسْتَحِقُّ أَنْ تَكُونَ
 هُنَاكَ فِي الْمَعَالِي إِلَى جِوَارِ الثَّرِيَّا وَمَا فَوْقَ الثَّرِيَّا.
 أُمَّهُ، اعْلَمِي أَنَّي الْعَنْقَاءُ الْمُنْبَعِثَةُ مِنْ جَوْفِ رَمَادِ
 الْأُسْطُورَةِ الْمَدْفُونَةِ فِي جَوْفِ الثَّرَى؛ الْعَنْقَاءُ الَّتِي سَنُحَلِّقُ
 وَبِاقْتِدَارٍ إِلَى مَجْدِ الْإِنْتِصَارِ نَحْوَ الثَّرِيَّا وَنَحْوَ جَنَّةِ الْخُلْدِ
 الَّتِي يَطْلُبُهَا الشَّهِيدُ وَيَرْجُوهَا مِنْ رَبِّهِ".
 حَبِيبَةُ الْقَلْبِ وَرُوحَ الرُّوحِ أُمِّي، لَا تَجْزَعِي وَلَا تَفْرَعِي مِمَّا
 سَتَسْمَعِيْنَهُ مِنِّي، لِأَنَّ وَقَعَهُ عَلَيْكَ سَيَكُونُ أَشَدَّ وَأَفْسَى مِمَّا سَبَقَ
 لِكَ أَنْ اسْتَمَعْتِ لَهُ مِنِّي صَبَاحَ يَوْمِ أُمْسٍ...
 وَمَعَ ذَلِكَ سَيَكُونُ حَدِيثًا مُعَاكِسًا وَمُغَايِرًا حَامِضًا حُلُومًا
 فِي نَفْسِ الْوَقْتِ، فَهُنَاكَ يَا أُمَّهُ خَلْفَ جِدَارِ الْأَسْرِ، عَرَضَ
 عَلَيَّ الضُّبَّاطُ الصَّهَائِنَةَ أَنْ أَعْمَلَ مَعَهُمْ كَعَمِيلَةٍ وَجَاسُوسَةٍ
 فَوَافَقْتِ، نَعَمْ أُمَّهُ وَافَقْتِ؛ لِأَنَّي ابْنَةُ أَبِي وَابْنَةُ أُمِّي وَابْنَةُ

فَلَسْطِينِ وَالِدَيْنِ، وَافْتَتْ لِأَنْنِي أُرِيدُ أَنْ أُوجِّهَ صَفْعَةً قَاسِيَةً بَلْ
 ضَرْبَةً دَامِيَةً مُوجِعَةً قَاصِمَةً لَضَبَاطِ جِهَازِ الشَّابَاكِ
 الصُّهْيُونِي، أُولَئِكَ الضُّبَابِ الَّذِينَ أَذَاقُوا وَالِدِي شَتَّى أَنْوَاعِ
 وَأَصْنَافِ الْعَذَابِ فَقَدَّرَ لَهُ الْمَوْلَى عَزَّ وَجَلَّ
 أَنْ يُسْتَشْهَدَ مُعَذَّبًا تَحْتَ سِيَابِ جَلَّادِيهِمْ.
 أُمَاهُ، أَقْسِمُ لَكَ بِمَنْ لَهُ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا
 تَحْتَ الثَّرَى، أَلَا تُشْتَمُّ مِنِّي أَنَا وَرُودُ سِوَى رَائِحَةِ الدَّمِ الذَّبَّاحِ لَا
 رَائِحَةَ الْعِطْرِ الْفَوَاحِ؛ رَائِحَةَ الْمَوْتِ وَالذَّمَارِ
 لِمَنْ احْتَلَّ أَرْضِي لَا رَائِحَةَ الدُّلِّ وَالانْكَسَارِ الَّتِي تَفُوحُ مِمَّنْ
 سَاوَمَ وَحَانَ شُعْبِي فَبَاعَ أَرْضِي.
 جَنَّدُونِي لِصَفِّهِمْ، وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّي لِلنَّارِ طَالِبَةٌ،
 وَلِلْعِقَابِ عَلَيْهِمْ مَوْجِعَةٌ لَا مَحَالَ، فَمَا عُدْتُ الْوَرْدَةَ الطَّرِيدَةَ
 الْخَانِعَةَ الْمُدْعُورَةَ كَوْنَهَا فَلِسْطِينِيَّةً رَافِضَةً لِوَاقِعِهَا، بَلْ عَدَوْتُ
 الْمُطَارِدَةَ وَالطَّارِدَةَ لِلْمُحْتَلِّينَ مِنْ أَرْضِ فَلَسْطِينِ، كَوْنِي
 فَلِسْطِينِيَّةً تَعِيشُ الْوَاقِعَ لَا الْوَهْمَ، فَلِسْطِينِيَّةً عَرَفْتُ رَبَّهَا حَقَّ
 الْمَعْرِفَةِ فَأَيَّقَنْتُ أَنَّ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ هُوَ ذُرْوَةُ سَنَامِ

الإسلام، فَإِنَّهُ هُوَ تَهَاوَى تَهَاوَتْ عَلَيْهِ الْأُمَمُ وَتَكَالَبَتْ، لِذَلِكَ فَمَا لِي سِوَى دَرْبِ وَالِدِي الشَّهِيدِ الْمُجَاهِدِ حَتَّى أَسِيرَ عَلَيْهِ، وَالِدِي الَّذِي أَدْمَى الْمُحْتَلِينَ مَرَّةً تَلَوَ الْمَرَّةَ، سِوَاءَ عِنْدَمَا كَانَ حُرًّا مُطَارِدًا لَهُمْ أَمْ عِنْدَمَا عَدَا أَسِيرًا فِي مَاسِرِهِمْ، بَلْ وَحَتَّى عِنْدَمَا أَصْبَحَ قُدْوَةً يُحْتَدَى بِهَا، وَهُوَ شَهِيدٌ مُسَجَّى الْجَسَدِ وَجِيدًا هُنَاكَ بَعِيدًا تَحْتَ ثَرَى مَقَابِرِ الْأَرْقَامِ، حَيْثُ تَجُولُ الْكِلَابُ وَتَحْوِمُ الْأَلْعَامُ . . .". مَا إِنْ تَوَقَّفْتُ عَنِ الْكَلَامِ حَتَّى عَاقَبْتَنِي أُمِّي عِنَاقًا مُمْتَدًّا دَافِنًا مُمْتَزِجًا بِدُمُوعِ الْفَرَحِ وَالْمَحَبَّةِ وَالْأَشْنِيَاقِ وَدُمُوعِ الْخَوْفِ وَالنَّجْرَعِ وَالنَّوْجُسِ مِمَّا سَنُكُونُ عَلَيْهِ الْحَالُ بَعْدَ مَا سَمِعْتُ مِنِّي مَا سَمِعْتُ، فَكَانَ عِنَاقِ الْمَلَاقِيَةِ وَالْمُودَعَةَ فِي أَنْ وَاحِدٍ، حَيْثُ تَلَاقْتُ دُمُوعَ الْأُمِّ مَعَ مَوْلُودِهَا الْوَلِيدِ، وَدُمُوعِ الْأُمِّ الْمُودَعَةَ مَعَ مَوْلُودِهَا الَّذِي بَاتَ بِحُكْمِ الشَّهِيدِ . . .

- " عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ يَا ابْنَتِي سِيرِي، وَعَلَى دَرْبِ وَالِدِكَ خُطِّي مَلْحَمَتِكَ، وَالَّتِي أَعْلَمُ أَنَّ نَهَايَتَهَا سَنُكُونُ بِأَسْتِشْهَادِكَ يَا وَرَدَتِي الْجَمِيلَةَ، ذَلِكَ لِأَنَّ مَعْرَكَتَنَا مَعَ بَنِي صَهْيُونَ لَيْسَ فِيهَا انْتِصَارٌ فِي هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ وَإِنَّمَا شَهَادَةٌ لَنَا وَمَوْتُ لَهُمْ وَاسْتِئْزَافٌ.

عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ . . . وَبَيِّنَاتٍ انْطَلَقِي، لَا تَنْظُرِي إِلَى الْخَلْفِ
مَهْمَا حَدَّثَ، فَمَا كَانَ مِنْكَ كَانَ، وَلَا أَنْتَظِرُ مِنْكَ سِوَى مَا
سَيَكْتُبُهُ اللَّهُ وَيَكُونُ، فَعَاصِفْتُكَ أَحْيَرًا سَتَّهَبُ بَعْدَ طُولِ تَحْبُطٍ
وَسُكُونٍ".

- "أُمَاهُ لَقَدْ سَبَقَ لِي وَبِفَضْلِكَ أَنْ أَعَدَدْتُ عُدَّتِي مَعَ الدُّكْتُورَةِ
مَرِيَمَ، فَلَا تَحْشَى عَلَيَّ فَقَدَرُ اللَّهُ هُوَ مَا سَيَكُونُ، وَأَنَا بِعَوْنِ اللَّهِ
لَنْ أَكُونَ لُفْمَةً سَائِعَةً لِهَوْلَاءِ الْأَفَاعِي أَبْنَاءِ الْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ بَلْ
سَأَكُونُ كَمَا الْحَنْظَلُ وَالْعَلْفَمُ الْمَجْبُولُ بِالسُّمِّ الرَّعَافِ".
هَذَا مَا كَانَتْ عَلَيْهِ الْحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَ وَالِدَتِي عَلَى امْتِدَادِ
الْأَسَابِعِ وَالْأَيَّامِ الَّتِي سَبَقَتْ فَتَحَ الْجَامِعَةَ أَبُوْبَاهَا، فَأَمَامَ النَّاسِ
أَنَا الْإِبْنَةُ الْمُتَمَرِّدَةُ الْغَاضِبَةُ، وَأَمَامَ أُمِّي لَا أَفْنِعةَ وَلَا اسْتِنْتَارَ،
حَيْثُ أَكُونُ الطُّفْلَةَ الْوَادِعَةَ مِنْ جِهَةٍ، وَالْمُقَاوِمَةَ الَّتِي تَعْكُفُ
عَلَى إِعْدَادِ عُدَّتِهَا لِلْإِنْفِضَاضِ عَلَى عَدُوِّهَا مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى.
هُنَا وَجَبَ عَلَيَّ أَلَّا أَنْسَى تِلْكَ الْمَهْمَةَ الْأُولَى، الَّتِي وَجَّهْتِي
لِإِدَائِهَا ضَابِطُ جِهَازِ الشَّابَّاكِ الصَّهْيُونِيِّ الْمُكَلَّفَ بِالْإِشْرَافِ
عَلَى تَشْغِيلِي كَعَمِيلَةٍ . . . عَمِيلَةٌ لَنْ تَنْقَاضَى أَجْرًا وَلَنْ

تَحْصُلَ عَلَى رُبِيَّةٍ عَسْكَرِيَّةٍ وَلَا شَيْئًا مِنْ هَذَا أَوْ ذَاكَ؛ لِأَنَّهَا
 قَبِلَتْ الْعَمَلَ حَسَبَ قَنَاعَةِ الصَّهَابِيَّةِ لِحِفْظِهَا عَلَى الْمُقَاوَمَةِ
 وَالْمُقَاوِمِينَ، وَكُرْهَهَا لِلدِّينِ وَالْمُتَدَيِّنِينَ، وَكُفْرَهَا لِلسِّيَاسَةِ
 وَالسِّيَاسِيِّينَ، أَمَّا الْحَقِيقَةُ فَتَكْمُنُ وَبِكُلِّ بَسَاطَةٍ وَتَجَرُّدٍ، أَنَّنِي أُرِيدُ
 أَنْ أَكُونَ فَلِسْطِينِيَّةً عَرَبِيَّةً مُسْلِمَةً تُؤْمِنُ أَنَّ الدِّينَ سِيَاسَةٌ
 وَالسِّيَاسَةُ دِينٌ، وَإِقَامَةُ الدِّينِ فَمَا لَنَا إِلَّا الْجِهَادُ، فَمُجْتَمَعَاتُنَا
 الْجَاهِلِيَّةُ الَّتِي اسْتَشْرَى فِيهَا السَّرَطَانُ الَّذِي جَذَرَهُ فِيهَا
 الْمُحْتَلُونَ وَالْمُنْحَلُونَ فَبِالْجِهَادِ نُدْحَرُ الْمُحْتَلَّ لَنَا أَرْضًا وَثِقَافَةً
 وَحَضَارَةً وَنَهْجَ حَيَاةٍ وَمَعِيشَةً، وَنُدْحَرُ الْمُنْحَلَّ فَسَادًا وَإِفْسَادًا
 لِكُلِّ مَظَاهِرِ الطَّهَارَةِ وَالصَّلَاحِ . . . لِذَلِكَ وَإِقَامَةِ الدِّينِ
 الْإِسْلَامِيِّ وَإِعْلَاءُ رَابِتِهِ؛ يَتَوَجَّبُ عَلَيْنَا أَنْ نَمْضِيَ فِي دُرُوبِ
 الْجِهَادِ جَمِيعُهَا، فَبِالْجِهَادِ الْعَسْكَرِيِّ وَالْعَقَائِدِيِّ وَالْأَخْلَاقِيِّ
 نَسْتَطِيعُ أَنْ نَحْمِيَ الدِّينَ وَنُعِيدَ الْعِبَادَةَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ لِعِبَادَةِ
 رَبِّ الْعِبَادِ، بَدَلًا مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ وَالْمَالِ وَمَتَاعِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ
 الَّذِي لَا مَالَ لَهُ إِلَّا الرُّوَالُ . . .

الفصل العاشر

إِرْهَابِيَّةٌ أَنَا وَبِكُلِّ فَخْرٍ

نعم، وألف ألف نعم ... إرهابية أنا وبكلِّ فخرٍ وعزة، وهذا جزءٌ بسيطٌ مما أؤمنُ بهِ ومما تعلَّمتهُ على يدِ الدكتورة مريم التي تتلمذتُ على يدِ رجالِ العقيدة الإسلامية الحقَّة.....

فالإرهاب في الإسلام وُجدَ من أجلِ أحداثٍ مُعينةٍ وواضحة، يجبُ أن تتطبَّقَ مع قواعدِ الشَّرْعِ الحنيف، ومن هذه الأهداف: أن تكونَ كلمةُ الله هي العُلْيَا وكلمةُ الذين كَفَرُوا السُّفْلَى، وضربُ مَنْ يُريدُ بالإسلامِ وأهلهِ الشَّرَّ وطردِ الْمُحْتَلِّينِ العَاصِبِينَ إذا اسْتَوَلُوا على أراضِي المُسْلِمِينَ، وإظهارِ القُوَّةِ والمُقَدِّرةِ في مُجَابَهَةِ وَمُقَارَعَةِ كُلِّ مَنْ تُسَوَّلُ لَهُ نَفْسُهُ الاعتداء على المُسْلِمِينَ، وتَعْكِيرِ صَفْوِ الحَيَاةِ عَلَيْهِم، واستِزْدَادِ حَقِّ مِنْ حُقُوقِ المُسْلِمِينَ وَطَرْدِ المُعْتَدِينَ مِنْهُ.

وخلَاصَةُ القَوْلِ الرَّاسِخِ لَدِيَّ هُوَ: إرهابُ العَدُوِّ بِكُلِّ الوَسَائِلِ، وَهَذَا مَا يَنْفَقُ مَعَ العَقْلِ السَّلِيمِ للقَانُونِ الدَّوْلِيِّ إِنْ

كَانَ قَوْمِيًّا، وَهَذَا النَّوعُ مِنَ الْإِزْهَابِ يَنْفَرُ بِهِ النَّظَامُ الْإِسْلَامِي
 دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْأَنْظِمَةِ الْأُخْرَى، وَهُوَ مِنْ خُصُوصِيَّاتِ الْإِنْسَانِ
 الْمُسْلِمِ الْمُكَافِئِ أَسَاسًا لِنُصْرَةِ أَخِيهِ الْإِنْسَانِ فِي الْعَقِيدَةِ
 وَالْإِنْسَانِيَّةِ ظَالِمًا كَانَ أَمْ مَظْلُومًا، فَهُوَ يَرُدُّ لِهَذَا مَظْلَمَتَهُ، وَذَاكَ
 يَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ حَقْنًا لِلدَّمَاءِ وَاللِّحْفَاطِ عَلَى الْمُتَمَتِّكَاتِ
 وَلِيَعْمَ السَّلَامُ ...

إِذَنْ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ إِرْهَابِيُونَ، وَفَقَّ الْمِصْطَلِحِ الْقُرْآنِي إِذَا
 انْتَهَكْتَ حُرْمَاتِنَا، وَأُهَيْبْتَ مُؤَدَّسَاتِنَا، وَاعْتَصَبْتَ حُقُوقِنَا،
 وَاحْتَلَلْتَ أَرْضِنَا، وَقُتِلَ وَتَشَرَّدَ الْأَبْرِيَاءُ الْأَمِينُونَ، وَبِالتَّالِي لِأَبَدٍ
 لَنَا مِنْ إِزَالَةِ الظُّلْمِ وَالبَغْيِ إِذَا وَقَعَ عَلَيْنَا مِنَ الْأَعْدَاءِ، وَالجِهَادُ
 الْإِرْهَابِيُّ يَكُونُ بِاليَدِ وَاللِّسَانِ وَالنَّفْسِ وَالمَالِ، وَيَكُونُ ضِدًّا
 النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ وَالمُشْرِكِينَ وَالمُنَافِقِينَ، وَضِدَّ الْعَدُوِّ الصُّهْيُونِيِّ
 الْمُجْرِمِ وَمَنْ يَقِفُ خَلْفَهُ فَقَدْ قَالَ المولى _ عَزَّ وَجَلَّ: "لَأَنْتُمْ
 أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِّنَ اللَّهِ ۚ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ" سورة

أَيُّ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ خَوْفًا وَخَشِيَةً
فِي قُلُوبِ الْمُنَافِقِينَ مِنَ اللَّهِ فَإِنَّهُمْ يَرْهَبُونَ وَيَخَافُونَ مِنْكُمْ
أَشَدَّ مِنْ رَهْبَتِهِمْ وَخَوْفِهِمْ مِنَ اللَّهِ.

إرهابية أنا وبكلِّ فخرٍ؛ لِذَلِكَ سَوْفَ أَسْتَحْدِمُ إِرْهَابَ الْيَدِ فِي
مُوجَهَةِ إِرْهَابِ الْفِكْرِ الَّذِي يُرِيدُ مِنِّي الصَّهَابِيَّةَ خَوْضَهُ ضِدًّا
أَبْنَاءِ شَعْبِي وَمُقَاوَمَتِي الَّتِي أَحْتَرِمُ وَأُحِبُّ.
لِذَلِكَ فَإِنَّ ضَابِطَ الشَّابَاكِ الصُّهَيْوَنِيِّ يُحَضِّرُنِي لِهَدَفِهِ
الاستراتيجي بَعِيدِ الْمَدَى، فَعَلَيْ أَنْ أَبَاغَتْهُ بِضَرْبَةٍ
قَاسِيَةٍ مُؤَلِّمَةٍ بِنَائٍ وَبِلَا تَسْرَعِ.
وَهُنَا تَوَاصَلْتُ مَعَ إِحْدَى الْأَخَوَاتِ الْمَقْدِسِيَّاتِ الْمُتَزَوِّجَةِ مِنْ
صَدِيقٍ قَدِيمٍ لِأَحْمَدِ ابْنِ الدُّكْتُورَةِ مَرْيَمَ، فَأَبْلَغْتُهَا وَجْهًا لَوْجِهِ فِي
الْمَدْرَسَةِ الَّتِي تَعْمَلُ بِهَا مُعَلِّمَةً كَلِمَةً سِرًّا وَرِسَالَةً شَفْهِيَّةً سَبَقَ
لِلدُّكْتُورَةِ مَرْيَمَ وَأَنْ أَسْرَتُ بِهَا لِي أَتْنَاءَ مَرِحَلَةِ إِعْدَادِهَا لِي
لِمُوجَهَةِ قَدْرِي الْمَحْتُومِ كَوْرْدَةِ دَامِيَّةٍ تَفُوحُ مِنْهَا رَائِحَةُ الدَّمِ
وَالْمَوْتِ.

فَمَا كَانَ مِنْ تِلْكَ الْمُعَلِّمَةِ الْمُقَدِّسِيَّةِ، وَبَعْدَ عِدَّةِ أَيَّامٍ عَلَى
 هَذَا اللَّقَاءِ إِلَّا وَأَنْ حَضَرْتُ لِلْقَائِي بِعِطَاءِ الصُّدْفَةِ فِي إِحْدَى
 مَمَرَاتِ الْجَامِعَةِ وَإِعْطَانِهَا لِي قُصَاصَةً وَرَقٍ حُفِظَ بِدَاخِلِهَا
 مَوْعِدٌ وَمَكَانٌ أَسْتَلُّ إِلَيْهِ، لِمُلَاقَاتِهَا وَرُؤُجِهَا صَدِيقِ أَحْمَدَ،
 الَّذِي سَبَقَ لِلدُّكْتُورَةِ مَرْيَمَ وَأَنْ أَكَّدَتْ لِي بِأَنَّهُ سَيَكُونُ عَلَى أْتَمِّ
 الِاسْتِعْدَادِ وَإِمْدَادِي أَوَّلًا بِالنِّصَاحِ الْوَاقِعِيَّةِ اللَّازِمَةِ وَالِاسْتِشَارَاتِ
 الْفَنِّيَّةِ وَالْمَوْضُوعِيَّةِ، ثُمَّ وَضِعَ الْخُطَّةَ الْأَنْسَبَ بَعْدَ أَنْ أُقَدِّمَ لَهُ
 كَافَّةَ الْمَعْلُومَاتِ وَالنَّطَوُّرَاتِ الَّتِي حَدَّثْتُ مَعِيَ طِوَالَ الْأَشْهُرِ
 الَّتِي تَلَّتْ خُرُوجِي مِنَ الْأَسْرِ، وَبَعْدَ مُرُورِ عِدَّةِ سَاعَاتٍ عَلَى
 اسْتِلَامِ تِلْكَ الْقُصَاصَةِ كُنْتُ أَجْلِسُ عَلَى طَاوِلَةٍ وَاحِدَةٍ دَاخِلِ
 مَنْزِلِ آمِنٍ مَعَ الْمُقَدِّسِيَّةِ مَنَالِ وَرُؤُجِهَا كَامِلَ، حَيْثُ أَوْضَحْتُ
 لَهُ بِالتَّفْصِيلِ الْمُهِلِّ مَا حَدَّثْتُ مَعِيَ مُنْذُ أَنْ عَرَضَ ضَابِطُ
 الشَّبَابِكِ الصُّهْبُونِيِّ الْعَمَالَةَ عَلَيَّ وَصُؤْلًا إِلَى يَوْمِنَا هَذَا.
 لَمْ يَتَفَاجَأَ الْمُقَدِّسِيُّ كَامِلٌ مِمَّا رَوَيْتُهُ لَهُ مِنْ أَحْدَاثِ
 وَمُلَابَسَاتِ، عَلَى عَكْسِ رُؤُجَتِهِ مَنَالِ الَّتِي بَانَتْ
 عَلَيْهَا عِلَامَاتُ نَسَاوِلٍ كَثِيرَةٍ، وَإِشَارَاتُ خَوْفٍ وَرَهْبَةٍ.

وَهُنَا قَطَعْتُ خَوْفَهَا وَقُلْتُ لِرَوْجِهَا بِصِغَةِ الْأَمْرِ لَا الطَّلَبَ:
 "كَمِيَّةٌ كَبِيرَةٌ جِدًّا مِنْ الْمَوَادِّ الْمُتَفَجِّرَةِ وَالْحَارِقَةِ وَالْمُدْمِرَةِ هِيَ مَا
 أَحْتَاجُ إِلَيْهِ بِالْإِضَافَةِ لِحِزَامِ نَاسِفِ أُرْتِدِيهِ".
 فَأَجَابَ بِكُلِّ رِصَانَةٍ وَهَيْبَةٍ: "سَأْمِدُكَ بِكُلِّ مَا يَلْزَمُ وَمَا
 تَحْتَاجِينَ إِلَيْهِ بِعَوْنِ اللَّهِ، وَهَذَا بِالطَّبَعِ بَعْدَ أَنْ تُفْنِعِنِي بِصَوَابِيَّةِ
 خُطَّتِكَ وَالَّتِي أَجْزَمُ بِأَنَّ لِلدُّكْتُورَةِ مَرِيَمَ أَثْرًا بِالْإِعْدَادِ لَهَا".
 فَأَجَبْتُهُ: "... اسْتَدْرَاجٌ... فَفَحٌّ وَكَمِينٌ يَلِيهَا لَانْفِجَارٌ؛ أَمَا
 الِاسْتَدْرَاجُ فَسَيَكُونُ عَلَى النَّحْوِ الْآتِي: حَيْثُ سَأْفُومُ بِإِخْبَارِ
 ضَابِطِ الشَّابَاكِ الْمُتَابِعِ لِي بِأَنَّ الْمُطَارَدَ وَالْمَطْلُوبَ مِنْ قِيَادَةِ
 الْأَمْنِ الصُّهُيُونِيَّةِ (جَمِيلِ أَبُو السَّعِيدِ) قَدَّالْتَجَا إِلَى بَيْتِنَا يَقِينًا مِنْهُ
 أَنَّهُ سَيَجِدُ فِيهِ مَلَاذًا أَمِنًا، بَعِيدًا عَنِ أَعْيُنِ عُمَلَاءِ الشَّابَاكِ،
 وَعُمَلَاءِ سُلْطَةِ أَوْسَلُو، وَذَلِكَ بِالطَّبَعِ يَعُودُ لِصِدَاقَتِهِ الْقَدِيمَةِ
 لَوْلَادِي الشَّهِيدِ الَّذِي كَانَ رَفِيقًا لِدَرْبِهِ الْجِهَادِيِّ قَبْلَ أُسْرِهِ.
 فَقَدْ سَبَقَ لِأَبِي السَّعِيدِ جَمِيلٍ وَأَنْ أَوَى إِلَيْنَا قَبْلَ أَعْوَامِ
 طَوِيلَةٍ عِنْدَمَا كُنَّا نَسْكُنُ فِي بَيْتِ جَدَّتِي، إِلَّا أَنَّهُ اعْتُقِلَ عَلَى
 أَحَدِ الْحَوَازِرِ الْمُفَاجِئَةِ، وَأَمْضَى بَعْدَهَا عِدَّةَ أَعْوَامٍ دَاخَلَ

الأسر، حَيْثُ خَرَجَ مِنْهُ مِنْهَا مِنْ تَقَدُّمِ العُمرِ، والإصَابَةِ
 بمرضٍ عَضَالٍ يَصْعُبُ الشِّفاءُ مِنْهُ، وعلى الرَّغمِ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ
 فَهَا هُوَ قَبْلَ نَحْوِ الشَّهْرَيْنِ يُقَرِّرُ أَنْ يَخْتِمَ حَيَاتَهُ الجِهَادِيَّةَ
 بِالنَّقْرَبِ إِلَى اللهِ، عَبْرَ تَنْفِيذِهِ عِدَّةِ عَمَلِيَّاتٍ قَنُصٍ وَاشْتِبَاكِ
 مُسَلَّحَةٍ عَلَى امْتِدَادِ الشَّوَارِعِ وَالْحَوَاجِزِ الَّتِي تُطَوِّقُ مَدِينَةَ رَامِ
 اللهِ، مِمَّا أَدَّى إِلَى مَقْتَلِ العَدِيدِ مِنَ الصَّهَابِيَّةِ وَجَرَحِ عَدَدٍ آخَرَ
 بِجِرَاحٍ لَا مَفَرَّ مِنْهَا إِلَّا المَوْتُ أَوْ الإِعَاقَةُ الدَّائِمَةُ.
 وَهُنَا أُخِي كَامِلٌ يَأْتِي دَوْرَ المَوَادِّ المُتَفَجِّرَةِ وَالْحَارِقَةِ وَالمُدْمَرَةِ،
 الَّتِي سَتَقُومُ أَنْتَ بِالنَّكْفَلِ بِهَا وَتُفَخِّخَهَا فِي مُخْتَلَفِ أَرْجَاءِ مَنْزِلِنَا
 الكَبِيرِ المُمَاتِلِ لِلقُصُورِ؛ يَعْنِي أُرِيدُ أَنْ أُحَوِّلَ هَذَا المَنْزَلَ
 -القَصْرِ- إِلَى قِطْعَةٍ مِنْ جَهَنَّمَ وَذَلِكَ حَتَّى يَبْتَلِعَ بِجَوْفِهِ مَنْ
 اقْتَحَمَهُ مِنْ ضَبَاطٍ وَجُنُودٍ صَهَابِيَّةِ، بَلْ وَحَتَّى تَتَنَاثَرَ مِنْ شِدَّةِ
 انْفِجَارِهِ أَشْلاءَ مَنْ بَقِيَ بِخَارِجِهِ مِنَ القُوَّةِ المُفْتَحِمَةِ؛ أَمَّا الحِزَامُ
 النَّاسِفُ فَهُوَ هَدِيَّتِي أَنَا لِضَبَاطِ جِهَازِ الشَّابَاكِ الصَّهْيُونِيِّ
 الذِينَ اسْتَشْهَدَ وَالدِّي تَحْتَ التَّعْذِيبِ بِأَيْدِيهِمْ، حَيْثُ سَيَحْضُرُونَ
 إِلَى المَكَانِ اللَّيْلَةَ بِهُجُومٍ وَافْتِحَامٍ كَمَا هُوَ المُعْتَادُ، وَبَعْدَهَا

سأقوم بتفجير المنزل عبر جهاز تحكم صغير الحجم عالي الدقة تُرودني به أنت أخي كامل، فما رأيك مما سمعته مني؟؟".

هنا نجهم كامل، ثم قال: "إنها المقاومة بثبات المقتدر، فعلى بركة الله نسير، وبهدي نبينا نهدي ونفتدي".

مصت الأيام ثقيلة جدًا ... ما أصعب الانتظار ... وبعد محاولات عديدة من كامل لتوصيل المواد المتفجرة لمنزلنا النقي بي خفية، لإخباري بفشل محاولة توصيل المتفجرات لمنزلنا، عندها شعرت بالصدمة وخيبة الأمل، فنظر لي مبسماً وأكمل حديثه: " لذلك يا ورود سأوكل مهمة تصنيعها لمجاهدٍ فذٍ ممن نهلوا هذا العلم من سيدٍ مهندسٍ فلسطيني وقُدوتهم الشهيد القائد يحيى عيَّاش، حيثُ سيفوم هذا المجاهدُ بتحويل سِرْداب منزلك إلى مختبرٍ لتصنيع المواد المتفجرة والحارقة والمدمرة كما طلبت، وهو بالطبع أدرى وأعلم مني بما يلزمه من موادٍ أوليةٍ تدخلُ في عملية التصنيع، سأعملُ على توفيرها ونقلها حيثُ المختبر بوسائلِي الخاصة.

وَهَذَا بِالطَّبْعِ عَمَلٌ سَوْفَ يَحْتَاجُ الْقَائِمُونَ عَلَيْهِ قُرَابَةَ الشَّهْرِ؛
لِذَلِكَ احْذَرِي كُلَّ الْحَذَرِ مِنَ الْإِثْيَانِ بِأَيِّ تَصَرُّفٍ أَوْ حَرَكَةٍ مِنْ
شَأْنِهَا أَنْ تُثِيرَ الشُّكُوكَ وَالرَّيْبَةَ لَدَى مُشْغَلِكِ الصُّهْبُونِي ضَابِطِ
الشَّابَّاكِ.

فَالكَمِينُ المَصِيدَةُ الِذِي نَحْنُ بِصَدَدِ تَجْهِيْزِهِ، يَكْمِنُ النَّجَاحُ
فِيهِ بَعْدَ تَوْفِيْقِ اللهِ بِعُنْصُرِ المُبَاعَاةِ وَالمَفَاجَاةِ الخَاطِئَةِ، لَا
الاسْتِدْرَاجِ المَتَّائِي ... حَيْثُ سَتَقُومِيْنَ فَجَرَ اليَوْمِ المَوْعُودِ
بِالانْتِصَالِ بِضَابِطِ الشَّابَّاكِ لِإِخْبَارِهِ أَنَّ المُجَاهِدَ جَمِيْلَ أَبُو
السَّعِيْدِ قَدْ التَّجَأَ إِلَى مَنْزَلِكُمْ قَبْلَ سَاعَةٍ أَوْ أَكْثَرَ تَقَطَّعَتْ بِهِ
السُّبُلُ، وَهُوَ مُصَابٌ بِإِحْدَى قَدَمَيْهِ وَتَحْدِيدًا اليُسْرَى مِمَّا حَوَّلَهُ
لِشَخْصٍ غَيْرِ قَادِرٍ عَلَى الحَرَكَةِ وَالتَّنْقُلِ بِيُسْرٍ، وَأَنَّهُ أَيْضًا
يُعَانِي مِنْ مَرَضٍ عَضَالٍ لَنْ يُمَكِّنَهُ مِنْ مُقَاوَمَةِ مُعْتَقَلِيهِ.
وَهُنَا اعْلَمِي أُحْتِي وَرُودَ أَنَّ ضَابِطَ الشَّابَّاكِ سَوْفَ يُصَدِّقُ
رَوَايَتِكَ لِأَنَّهَا تَحْتَوِي عَلَى مَعْلُومَاتٍ صَحِيحَةٍ أَكِيدَةُ لَا يَعْلَمُهَا
إِلَّا جِهَازُ الشَّابَّاكِ، وَمَنْ التَّجَأَ إِلَيْهِ جَمِيْلَ أَبُو السَّعِيْدِ، حَيْثُ
قَدَّرَ اللهُ لَهُ أَنْ يُصَابَ قَبْلَ عِدَّةِ أَيَّامِ بُجْرَحِ خَطِيرٍ غَائِرٍ بِقَدَمِهِ

اليسرى نَتِيجَةً رِصَاصَةَ دَمْدَمٍ مُتَفَجِّرَةٍ، أَدَّتْ إِلَى تَهْتِكِ عِظَامِ
سَاقِهِ وَنَزْفِهَا لِكَمِيَّةٍ كَبِيرَةٍ مِنَ الدَّمَاءِ تَرَكَتْ أَثْرًا يَدُلُّ
عَلَى مَا حَدَّثَ فِي مَكَانٍ تَنْفِيذِ عَمَلِيَّتِهِ الْجِهَادِيَّةِ.
وَاعْلَمِي أَيْضًا أَنَّ أَبَا السَّعِيدِ جَمِيلٌ هُوَ مَنْ سَيَقُومُ بِتَفْجِيرِ
مَنْزَلِكَ لَا أَنْتِ يَا وُرُودُ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ مَا تَمَنَّاؤُ عَلَى عِنْدَمَا
قَابَلْتُهُ فِي مَكْمَنِهِ وَمَشَفَاؤُ الْمُؤَقَّتِ السَّرِيِّ وَهُنَا لَا تَسْأَلِينِي
كَيْفَ تَوَافَقَتْ أَفْكَارُكُمَا مَعًا لِتَلْتَقِيَانِ عَلَى خُطَّةٍ
تَكَادُ تَكُونُ مُنْطَابِقَةً، حَيْثُ طَلَبَ هُوَ أَنْ أَقُومَ بِعَمَلِ اللَّازِمِ
مِنْ أَجْلِ تَحْوِيلِ مَكْمَنِهِ إِلَى مَوْعٍ كَمِينٍ تَمَامًا كَمَا كُنْتَ
تُحْطِّطِينَ لَذَلِكَ فَكَيْفَ وَلِمَاذَا وَمَتَى وَأَيْنَ؟!
هَذَا مَا سَنَسْتَرْكُ فِي تَرْبِيئِهِ بِشَكْلِ هَادِيٍّ مُتَّزِنٍ، فَنَحْنُ نَدِيرُ
مَعْرَكَةٍ عُقُولٍ لَا مَعْرَكَةَ عَضَلَاتٍ ضِدًّا
جِهَازِ الشَّابَاكِ الصُّهْيُونِيِّ، ذَلِكَ الْجِهَازُ الَّذِي
يَعْمَلُ عَلَى إِدَارَتِهِ حَوْنَةُ الْعُهُودِ وَمُخْلَفِي الْوُعُودِ. وَأَمَّا الْحَزَامُ
النَّاسِيفُ الَّذِي تَوَدِّينَ تَفْجِيرَهُ بِشَيَاطِينِ الشَّابَاكِ فَهُوَ أَمْرٌ أَنْزَكِي
حَسْمِهِ، بَعْدَ أَنْ تَنْضَحَ مَعَالِمِ الْخُطَّةِ وَالْكَمِينِ بِشَكْلِ أَفْضَلِ".

لَقَدْ ارْتاحَ قَلْبِي لِمَا سَمِعْتُهُ مِنَ الْمَقْدِسِيِّ كَامِلٍ، فَوَدَّعْتُهُ
 وَرَوَّجْتَهُ عَلَى أَمَلٍ أَنْ نَلْتَقِيَ بَعْدَ عَشْرَةِ أَيَّامٍ، سَيَكُونُ هُوَ خِلَالِهَا
 قَدْ أَعَدَّ مَا يَلْزَمُ لِتَلْمِيزِ الْعِيَّاشِ حَتَّى يُنْجِزَ مَهْمَتَهُ مُفَحِّحًا مَنْزِلَنَا.
 عُدْتُ أَدْرَاجِي حَيْثُ حُضُنُ أُمِّي الدَّافِي وَقَصَّصْتُ عَلَيْهَا مَا
 كَانَ، فَمَا كَانَ مِنْهَا سِوَى مُبَارَكْتِهِ عَلَى شَرِطٍ وَاجِدٍ يَتَلَخَّصُ
 وَبِإِصْرَارٍ بَأَنْ تَكُونَ هِيَ الأُخْرَى جُزْءًا لَا يَتَجَزَّأُ مِنْ تِلْكَ
 الخُطَّةِ.

مَضَتْ الأَيَّامُ العَشْرَةَ بِطَبِئَةٍ جِدًّا، آهٍ مَا أَصْعَبَ الانتِظَارَ
 عَلَى مَنْ صَمَمَتْ عَلَى النَّارِ، وَفِي اليَوْمِ العَاشِرِ تَسَلَّلَ تَلْمِيزُ
 العِيَّاشِ لِمَنْزِلِنَا وَصُولاَ لِقَبْوِهِ، وَمُحوَّلًا إِيَّاهُ وَعَلَى عَجَلٍ
 لِمُخْتَبِرِ عَمَلٍ فِيهِ لَيْلَ نَهَارٍ عَلَى تَصْنِيعِ تِلْكَ المَوادِّ الأَوَّلِيَّةِ
 وَتحويلِهَا إِلَى حِمَمِ بُرْكَانٍ يَنْتَظِرُ النَّارَ وَالنُّورَانَ.
 وَأَمَّا المَقْدِسِيُّ كَامِلٍ فَأَمَدَّهُ وَبِمُنْتَهَى الحِيطَةِ وَالحَدَرِ وَالسَّرِيَّةِ
 بِكُلِّ مَا يَلْزَمُهُ، حَيْثُ حَوَّلًا مَعًا العَدِيدَ مِنْ عُرُفِ مَنْزِلِنَا الفَارِغَةَ
 إِلَى مُسْتَوْدَعٍ لِلوُفُودِ سَرِيعِ الاِشْتِعَالِ وَأَنَابِيِبِ غَازِ الطَّهْيِ
 القَابِلَةِ لِلانْفِجَارِ، وَذَلِكَ بِالطَّبْعِ لزيَادَةِ شِدَّةِ نُورَانِ البُرْكَانِ

عند انطلاق شرارة الانفجار، بحيث يُقذف حممه نحو كل من هو بداخله وخارجِه من جنودٍ وضباطٍ صهاينة. في تلك المرحلة اكتفيتُ أنا بمُتابعةِ دراستي الجامعية، بشكْلِ روتيني حتى لا تتمكّن الأعيُن المترصّدة من ملاحظة أيّ تغييرٍ على سلوكي، الذي أحدثتُ فيه تغييرًا مقصودًا مُتمثلاً بافتعالي لمشكلةٍ مع إحدى بناتِ الكتلة الطلابية الإسلامية، وذلك بالطّبع حتى أبقى الحاجز الذي صنّعه من كرهٍ لكلِّ ما يمتُّ للمقاومةِ بصِلَة، والذي هدمته بعد تجرّبتني في المعتقل وتغيير فكري بالكامِل، ولكنني أزدتُ من هذا الفعلِ أن أبعِد الطالباتِ عني؛ من أجل ألا يؤدي ما سأقومُ به لِرَدّة فعلٍ صهيونيةٍ انتقاميةٍ نحوهنّ تتّملُّ بالاحتجاز والاعتقال والتّحقيق والتّكيل... وغير ذلك، ممّا برع فيه الجنود الصهاينة من أساليبِ قمعٍ وترهيبٍ بحقّ أبناءِ فلسطين، أمّا والدتي فكانتِ آنذاك تقومُ بكلِّ ما يُطلبُ منها للتّغطية على ما كان يُورُ من أحداثٍ داخل منزلنا، حيثُ لازمتُ والدتي في تلك المرحلة المقدسيةِ منال، وذلك حتى تكونَ حلقة وصلٍ مابيننا

وَبَيْنَ رَوْحِهَا الْمُقَاوِمُ كَامِلٌ؛ ذَلِكَ الْكَامِلُ الَّذِي لَمْ يُكْمِلْ لِي بَعْدُ
بَاقِي تَفَاصِيلَ الْخُطَّةِ الَّتِي أَرَى تَقَدُّمَهَا حَيْثُ شَارَقْتُ عَلَى
الْاِكْتِمَالِ، بَعْدَمَا أَكَّدَ لِي تَلْمِيزُ الْعِيَّاشِ أَنَّهُ أَتَمَّ الْمُهَمَّةَ الْمُوَكَّلَةَ
إِلَيْهِ عَلَى أَتَمِّ وَجْهِهِ، وَأَنَّ مُهَنْدِسًا آخَرَ أَتَمَّ عَمَلًا لَمْ يَكْشِفْهُ لِي،
ثُمَّ غَادَرَ بَعْدَ ذَلِكَ الْمُخْتَبَرِ دُونَ أَنْ يَصْنَعَ لِي مَا طَلَبْتُ صُنْعَهُ
مِنْ حِرَازٍ نَاسِيفٍ... أَمَا لِمَاذَا؟ فَهَذَا السُّؤَالُ الَّذِي أَلْحَحْتُ بِهِ
عَلَى كَامِلٍ لَعَلِّي أُجِدُّ جَوَابًا عَلَى مَا سَأَلْتُهُ، وَرُغْمَ الْإِحَاجِي
الشَّدِيدِ إِلَّا أَنَّنِي لَمْ أُجِدُّ جَوَابًا عَلَى مَا سَأَلْتُ!!.
وَهَذَا بِالطَّبَعِ أَمْرٌ زَادَ مِنْ حِيرَتِي وَعَظْبِي الَّذِي كَتَمْتُهُ رُغْمَ
شِدَّتِهِ، فَأَنَا وَكَمَا سَبَقَ لِي وَأَنْ قُلْتُ مَا عُدْتُ تِلْكَ الْفِتَاةَ
الْمُرَاهِقَةَ الْمُنْدَفِعَةَ غَيْرَ الْمُنْضَيْبَةَ، وَالَّتِي لَا تَسْتَطِيعُ التَّحَكُّمَ
بِمَشَاعِرِهَا، حَيْثُ لَا مَكَانَ هَاهُنَا لِلْمَشَاعِرِ، بِالرَّغْمِ مِنْ أَنْ
مَشَاعِرِي وَعَاطِفَتِي هُمَا مَا دَفَعَنِي بَعْدَ إِيْمَانِي بَعْدَالَةِ وَصَوَابِيَّةِ
تَوَجُّهِي لِلْقِيَامِ بِمَا أَنْوِي الْقِيَامَ بِهِ، إِلَّا أَنَّ دَوْرَ الْقَلْبِ هُنَا يَفْتَضِرُّ
عَلَى إِمْدَادِ الدِّمَاغِ وَتَرْوِيدِهِ بِالْمُغْدِيَّاتِ وَالْأَكْسُجِينِ اللَّازِمِينَ
لِلتَّفَكِيرِ وَالتَّدْبِيرِ، فَحَرَبْنَا حَرْبَ عُقُولٍ وَأَدْمَعْنَا، حَرْبُ عُقُولٍ

وَاعِيَةَ تَقْفُ خَلْفَهَا قُلُوبُ جَسُورَةٍ رِيَانِيَةٍ مُخْلِصَةٍ،
 وَلَا مَكَانَ هَاهُنَا لِأَنَا بِأَيِّ حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ إِلَّا
 إِنْ كَانَتْ الْأَنَا لِلْكَلِّ وَكَانَ الْكَلُّ لِأَنَا وَكَانَتْ مَعًا اللَّهُ.
 فَهَكَذَا هُمْ فُرْسَانُ الْقَسَامِ وَفَارِسَاتُهَا، وَاحِدُهُمْ لِلْكَلِّ وَكُلُّهُمْ
 لِلوَاحِدِ، مَا دَامَ وَاحِدُهُمْ وَكُلُّهُمْ وَعَمَلُهُمْ لِلَّهِ لَا لِأَحَدٍ سِوَاهُ.
 عَلَى الرَّعْمِ مِنْ يَقِينِي أَنْ سَاعَةَ الصَّفْرِ قَدْ أَقْتَرَيْتُ، إِلَّا أَنَّنِي
 لَمْ أَتَوَقَّعْ أَنْ أَشَاهِدَ بِأَمِّ عَيْنِي الشَّيْخَ الْجَلِيلَ وَالْمُطَارِدُ الْأَوَّلِ
 لِقُوتِ الْإِحْتِلَالِ وَالْمَطْلُوبِ مِنْ قِبَلِهَا جَمِيلِ أَبُو السَّعِيدِ؛ الْمُقَاوِمِ
 الْمُصَابِ جَالِسًا بِكُلِّ هَيْبَتِهِ وَرِصَانَتِهِ بِصَدْرِ مَنْزِلِنَا، بِصُحْبَةِ
 ابْنَتِهِ نَفَيْسَةَ، وَبِضِيآفَةِ وَالدَّتِي فَيَتَبَادَلُونَ
 أَطْرَافَ الْحَدِيثِ وَيَشْرِبُونَ اللَّبْنَ الْمُحَلَّى بِالنَّمْرِ،
 فَمَا كَانَ مِنِّي سِوَى الْإِنْضِمَامِ إِلَيْهِمْ بَعْدَ سَلَامِي عَلَيْهِمْ وَكَانَ
 رُؤْيِيَهُ لِلنَّوِّ أَمْرٌ اعْتِيَادِيٌّ اعْتَدْتُ عَلَى رُؤْيِيَتِهِ...
 بَعْدَ مُضِيِّ عِدَّةِ سَاعَاتٍ عَلَى هَذَا اللَّقَاءِ، انْطَلَقْتُ الْإِبْنَةَ
 نَفَيْسَةَ مُعَادِرَةَ الْمَنْزِلِ بَعْدَ أَنْ أَعَدْتُ لِوَالِدِيهَا مَكْمَنًا مُجَهَّزًا
 بِالطَّابِقِ الْعُلُويِّ بِكُلِّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا الْأُخْرَى مَعَهَا

بناءً على طلبها لنركب سويًا بسيارة حضرت لمنزلة نتيجة
 لموعده حدد لسائقها مسبقًا، فانطلقنا عبر خطة تمويه لا شأن
 لي بتفاصيلها، حتى وصلنا بعد حين إلى حيث وجدت
 المقدسية مائل وزوجها بانتظاري فيبادران بالترحيب وبكشف
 المسئور من تفاصيل الخطة، حيث قال لي المقدسي كامل:
 البيت (القصر) جاهز ومجهز، وأبو السعيد جميل هو الآخر
 على أتم الاستعداد للقاء المولى عز وجل وللقيام بما رغب
 وتمنى هو وأنت القيام به، إلا أن المرء لا يدرك ولا يحصل كل
 ما يتمناه، فالمطلوب منك أختي ورود يتمثل بالتالي؛ أولاً عليك
 غداً صباحاً قبل توجهك للجامعة ركن سيارتك الرباعية الدفع
 في إحدى مواقف السيارات في المدينة، والذي سوف أحده
 لك الآن، على أن تزوديني أنت الآن بمفتاح التشغيل الخاص
 بها والذي أجزم أنه يقبع الآن في حقيبة يدك التي تحملها،
 أما أنت فسوف تستعلمين المفتاح الاحتياطي والذي سبق
 للشركة الصانعة التي اشتريتها منها سيارتك أن زودتك به،
 وبعد انتهاء يومك الدراسي عودي إلى موقف السيارات لتبجني

عَنْ سَيَّارَتِكَ الَّتِي مِنَ الْمُحْتَمَلِ أَنْ مَكَانَ وَقُوفِهَا لَنْ يَكُونَ حَيْثُ
رَكَنَتْهَا لِأَنَّ مَوْقِفَ السَّيَّارَاتِ هَذَا مَزْدَحِمٌ عَلَى الدَّوَامِ ...
فَالْمَكَانُ سَيَتَغَيَّرُ فَجَدِيهِ وَعِنْدَهَا سَتَجِدِينَ أَنَّ سَيَّارَتِكَ لَمْ تَتَّعِثِرْ
الْبَتَّةَ مِنْ حَيْثُ الْمَظْهَرِ، وَأَمَّا الْجَوْهَرُ فَقَدْ قَلَبَ رَأْسًا عَلَى
عَقَبٍ؛ حَيْثُ سَيَحْوِلُ تَلْمِيزَ الْعِيَّاشِ مَدَلَّلَتِكَ هَذِهِ إِلَى مُفَخَّحَةِ
قَادِرَةٍ عَلَى تَحْوِيلِ كُلِّ مَا حَوْلَهَا إِلَى سَاحَةِ حَرْبٍ قُصِفَتْ بِأَشَدِّ
الْقَنَابِلِ الْفَتَّاكَةِ، فَقُودِي عَلَى حَذَرٍ وَبَلَا عَجَلٍ سَيَّارَتِكَ نَحْوَ
الْمَنْزِلِ وَأَوْقِفِيهَا إِلَى جَوَارِ بَوَابَتِكَ الْخَارِجِيَّةِ لَا فِي الْمَوْقِفِ
الدَّاخِلِيِّ لِلْمَنْزِلِ، عَلَى عَكْسِ الْعَادَةِ هَذِهِ الْمَرَّةِ، وَهَذَا تَحْتَ
حُجَّةِ أَنَّكَ أَحْضَرْتِ بَعْضَ الدَّوَاءِ وَالضَّمَامَاتِ لِجَمِيلِ أَبِي
السَّعِيدِ، عِنْدَمَا حَضَرَ إِلَى مَنْزَلِكِ اللَّيْلَةَ، نَعَمْ يَا وَرُودَ ... فَلَيْلَةٌ
الْغَدِ وَفَجْرُهَا هُوَ الْمَوْعِدُ الْمُحَدَّدُ لِنَتْفِيزِ الْكَمِينِ ... حَيْثُ وَكَمَا
سَبَقُ أَنْ أَخْبَرْتِكَ سَتَقُومِينَ بِالِاتِّصَالِ بَعْدَ مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ بِقَلِيلِ
بِضَابِطِ الشَّابَاكِ الصُّهْيُونِيِّ لِنُقْشِي سِرَّ الْمَطَارِدِ وَالْإِرْهَابِيِّ أَبِي
السَّعِيدِ وَبِكَوْنِهِ مُخْتَبَأًا فِي قَبْرِ مَنْزَلِكِ، وَعِنْدَهَا سَيَحْضُرُ هَذَا
الضَّابِطُ مَعَزَّرًا بِقَوَاتٍ كَبِيرَةٍ جَدًّا وَذَلِكَ بِالطَّبْعِ لَخَطُورَةٍ مَا فَعَلَهُ

المطاردُ والمطلوبُ أبو السعيد بهم وتحسبهم ممَّا سيقدّم على فعله أثناء مُداومتهم لمكمنه ... وهنا اعلمي أيُّها الوُرْدَةُ الدّامية أنّ ضابطَ المُخابراتِ الصُّهيوّني سَوفَ يَطْلُبُ منك التّزامَ الهدوءِ وعدمِ الذعرِ أو الخوفِ مُطمئناً إياكِ أنّ كلّ شيءٍ سيكونُ على ما يرام، وهنا قولي له أنّكِ تطلبينَ إغلاقَ بوابةِ القبوِ الحديديّةِ بالقفْلِ وذلكَ حتى لا يتمكّن أبو السَّعيد من الفرارِ أو حتى المقاومة، وهذا بالطبع أمرٌ سَوفَ يدرسه ضابطُ الشّاباك، أمّا الحقيقةُ فهي تتلخّصُ بكونِ المجاهدِ الاستشهادي أبو السعيد سيكون قد كمنَ لهمُ بالطَّابِقُ العُلوي للمِنزلِ (القصر) حيثُ يشاهد عبرَ شاشاتِ التلفازِ الموصولة بدائرةٍ مغلقةٍ بكاميراتِ مراقبةٍ زرعهَا المهندس الذي عمِلَ مع تلميذِ العياش في عدةِ أماكنٍ كالقبوِ ومَدخله ومُحيطِ المَنزلِ وبوَابته حيثُ تجنُّم مدللتك المفخخة، وهُنَا يا ورود ينتهي دَوْرُكِ ودورُ والدتك ومهمَّتُكما الجهاديةُ على أكملِ وجه. وهذا بالطبع يا أخواتي الأسيراتِ الحرائرُ ما حدثَ وكان حيثُ استدرجتُ الضَّابطَ وجنودهَ نحوَ منزلنا الذي اقتحَمَ من

قَبْلَهُمْ مُتَوَجِّهِينَ وَعَلَى الْفُورِ بَعْدَ قَلِيلٍ مِنَ الْبَحْثِ إِلَى الْقَبْرِ
 حَيْثُ أُرْسِدْتُهُمْ، فَمَا كَانَ مِنْ أَبُو السَّعِيدِ إِلَّا وَأَنْ قَامَ بِتَفْجِيرِ
 الْمَنْزِلِ بَعْدَ سَمَاعِهِ لِذَوِي الْإِنْفِجَارِ الَّذِي قَامُوا بِهِ هُمْ مُسْتَهْدِفِينَ
 بَابَ الْقَبْرِ حَيْثُ شَاهَدَ كُلُّ ذَلِكَ عَبْرَ شَاشَةِ النَّفَّازِ بِمَكْمَنِهِ
 السَّرِّيِّ وَفَجَّرَ الْمَنْزِلَ الْقَصْرَ فَأَنْفَجَرَتْ سَيَّارَتِي
 الْمُفَخَّخَةَ وَذَلِكَ لِارْتِبَاطِهِمَا بِنَفْسِ مُفْتَاكِ التَّفْجِيرِ ...
 فَتَحَوَّلَا إِلَى كَوْمَةٍ لَهَبٍ لَا تَنْضَبُ فَحَوْلًا كُلُّ مَا فِي دَاخِلِهِمَا إِلَى
 رُكَامٍ وَأَشْلَاءَ لَا يُمَكِّنُ أَنْ تُجْمَعَ إِلَّا بَعْدَ غَزْبَةِ الرَّمَالِ.
 أَمَّا أَنَا فَكُنْتُ وَالذَّتِي جَالِسَتَيْنِ فِي سَيَّارَةٍ مُخَصَّصَةٍ لِمَنْ
 يَبِيءُ اعْتِقَالَهُمْ وَذَلِكَ بِالطَّبْعِ حَسَبَ خُطَّةِ ضَابِطِ الشَّابَاكِ الَّذِي
 أَرَادَ دَرَةَ الشُّبُهَةِ عَنِّي بِحَيْثُ أَنَّهُ قَالَ لِي أَنَّهُمْ سَيَعْمَلُونَ عَلَيَّ
 اعْتِقَالِي وَالذَّتِي فُورَ مَدَاهِمَةِ الْمَنْزِلِ، تَمَامًا كَمَا سَبَقَ لِكَامِلِ
 وَأَنْ أَخْبَرَنِي وَهَذَا بِالطَّبْعِ يَشْمَلُ النَّقْتِيشَ وَالتَّنْكِيلَ وَالرَّجَّ بِنَا
 بِجُوفِ الْمُصَفَّحَةِ الَّتِي يُشَاهِدُهَا وَيُشَاهِدُنَا فِيهَا الْمُتَفَرِّجُونَ مِنْ
 الْفُضُولِيِّينَ وَالْفَاضِلِينَ مِنْ أَهْلِ الْقَرْيَةِ، فَتِلْكَ الْمُصَفَّحَةُ الَّتِي

سَتَقِينَا بِعَوْنِ اللَّهِ تَبِعَاتُ الْإِنْفِجَارَيْنِ، كَمَا أَكَّدَ لِي أَيْضًا أَنْ
مَعْرَكَتُنَا لَا تَقْتَصِرُ عَلَى أَنْ نَسْتَشْهَدَ فَقَطْ فَهَذَا الْإِنْتِصَارُ.

نَعَمْ، ذَلِكَ الْإِنْتِصَارُ الَّذِي سَيَكُونُ عَبْرَ تَحْرِيرِنَا كُلَّنَا أَخَوَاتِي
الْأَسِيرَاتِ مِنْ خِلَالِ صَفْقَةٍ وَفَاءِ أَحْرَارٍ عَمَّا قَرِيبَ، فَهَذَا بَعْزَةُ
العِزَّةِ لَنَا إِخْوَةٌ أَيْدِيهِمْ مُتَوَضِّئَةٌ، وَقُلُوبُهُمْ مُخْلِصَةٌ، وَعُقُولُهُمْ
مُسْتَنْبِرَةٌ، لِذَلِكَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْنَكُنَّ أَخَوَاتِي الْأَسِيرَاتِ الْحَرَائِرِ فَهَذَا
أَنَا وَالْمَرَّةَ الثَّانِيَةَ أَجْلِسُ بِصُحْبَتِكُنَّ وَصُحْبَةِ
الدُّكْتُورَةِ مَرْيَمَ وَالْمُشَاكِسَةَ مَرْيَمَ إِلَّا أَنْ فَرَّقَ هَذِهِ الْمَرَّةَ
يَكْمُنُ بِاصْطِحَابِي لَوَالِدَتِي أَمَّا الْمَرَّةُ الْقَادِمَةُ فَسَوْفَ
أَصْطَحِبُ ابْنَتِي وَرَوْجُهَا وَأَبْنَائِهَا وَبَنَاتِهَا.
وَاللَّهِ، إِنَّ التَّحْرُّرَ مَصِيرِنَا شَاءَ مَنْ شَاءَ، وَأَبَى مَنْ أَبَى،
وَتَأَمَّرَ بَعْدَ أَنْ خَانَ، وَلِلْعَمَالَةِ لِلْمُحْتَلِّ اسْتِكَانَ.
سَنَتَّحَرَّرُ رُغْمَ أَنْفِ الطُّغَاةِ وَالْبُعَاةِ وَالْمُحْتَلِّينَ وَالْمُنْحَلِّينَ ...
سَنَتَّحَرَّرُ حَيْثُ تَعُودُ عَمَّا قَرِيبَ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُنَّ إِلَى مَنْزِلِهَا
وَأَهْلِهَا، إِلَّا أَنَا وَأُمِّي فَإِنَّ تَحْرُّرَنَا سَيَكُونُ بِعَوْنِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ
لِقِطَاعِ عِزَّةٍ حَيْثُ سَبَقَ وَأَنْ طَلَبْنَا ذَلِكَ مِنَ الْمُقَاوِمَةِ وَرِجَالِهَا ...

رَجَالُ اللَّهِ وَرِجَالُ الظِّلِّ وَالْعِزَّةِ ... فَغَزَّةٌ هِيَ مَرَسَانَا حَيْثُ
المُقَاوِمَةُ وَالإِنْتِصَارُ حَيْثُ الكَرَامَةُ وَالْعِزَّةُ، وَحَيْثُ الفَقْرُ وَالْعَوَزُ
وَالجُوعُ ... فَأَلْفُ أَلْفِ نَعَمٍ لِلجُوعِ وَكُلًّا لِلآلِآتِ لِلخُنُوعِ
وَالرُّكُوعِ.

بِالْأَمْسِ حَرَّرْتُ الْمُقَاوِمَةَ غَزَّةً، وَالْيَوْمَ وَلَيْسَ غَدًا وَعَبَّرَ
مَسِيرَاتِ العُودَةِ، وَعَبَّرَ جَحَافِلِ الْمُقَاوِمِينَ سَوْفَ تَتَمَكَّنُ مِنْ
تَحْرِيرِ قُدْسِنَا وَأَقْصَانَا وَتَحْرِيرِ فِلَسْطِينَ وَمَسْرَانَا مِنْ مُحْتَلِّيهَا
وَنَاهِبِيهَا...

وَرُودُ الدَّامِيَّةِ أَنَا وَالإِرْهَابِيَّةُ بِكُلِّ فَخْرٍ أَنَا.
وَرُودُ بَرَايِحَةِ المَوْتِ وَالدَّمَارِ، رَيْثَمَا نَتَحَرَّرَ أَرْضًا وَشَعْبًا،
وَعِنْدَهَا فَقطْ سَتَقُوحُ مِنِّي وَمِنْ كُلِّ فِلَسْطِينِيٍّ وَفِلَسْطِينِيَّةٍ رَائِحَةَ
الصَّنُوبِ وَالزَّيْتُونِ وَاللَّيْمُونِ وَالزَّرْعَتِرِ... الَّذِي رَائِحَتُهُ الحُرِّيَّةُ
وَالإِنْتِصَارُ.

وَرُودُ بَرَايِحَةِ الدَّمِ

الفهرس

٢	الإهداء
٣	المقدمة
٥	الفصل الأول: أنا لا هو
١٥	الفصل الثاني: هو لا أنا
٢٣	الفصل الثالث: هو أعد وأستعد
٢٨	الفصل الرابع: أنا سوف أعد وأستعد
٤٩	الفصل الخامس: عميل مع سبق الإصرار والترصد
٦٩	الفصل السادس: مشروع مقاوم
٧٩	الفصل السابع: صغيرة العمر كبيرة العقل
٨٩	الفصل الثامن: الحمد لله
١٠٢	الفصل التاسع: الأقنعة
١١٠	الفصل العاشر: إرهابية أنا وبكل فخر